

مِنْ مَوْلَانَا ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ

الذُّرُورُ وَالْإِنْكَسَارُ لِلْعَزِيزِ الرَّجَبِيِّ (الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ)

لِلْإِمَامِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ
(٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)

دراسة وتحقيق
ليسرى عبير الغنى البشري

مكتبة القرآنية

للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع التمام بالفرنساوى - بولاق أبو العلاء -

القاهرة - ت. ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١ فاكس ٤٨٠٤٨٤



وكلينا الوحيد بالملكة العربية السعودية،

مكتبة الساعي

الرياض ت ٤٣٥٢٧٦٨ - فاكس، ٤٣٥٥٩٤٥
فروع جدة - تليفون، ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة - ت، ٣٢٣١٤٣٤
المدينة المنورة - ت، ٨٢٤٢٧٧٥

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن

قَالَ تَعَالَى :
" إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا
رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ
(الأنبياء ٩٠)

obeikandi.com

حى على الصلاة حى على الفلاح

قال رسول الله ﷺ :

[بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان] - رواه البخارى .

إننا معشر المسلمين بحمد الله تعالى من خير الأمم الموحدة التى أخرجت للناس ، ولنا كتاب منزل نقدهه وهو القرآن الكريم ، ولنا شريعة إلهية وضعت لنا دستوراً ينظم حياتنا الدينية والأخلاقية والعمرانية ، ويقرر واجباتنا نحو الله عز وجل ، ويحدد علاقاتنا ومعاملاتنا فيما بيننا ، ويجعلنا محاسبين ومسئولين أمامه تعالى ، عما أمرنا به من تكاليف واضحة صريحة . جاء بها القرآن الكريم ، وبينتها سنة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام . وقد كانت أركان الإسلام الحنيف مطبقة أحسن تطبيق . وعلى أحسن صورة فى حياة السلف المعاصر لنبي الرحمة ﷺ .

ومن جاء بعدهم من المسلمين الذين كانوا أشد الناس حرصاً عليها وتمسكاً بها ، ولكن مع مرور الأيام والسنين أخذ المسلمون يتبدلون مع أحداث الزمان ، ويتغيرون مع تغير الدول والحكام ، وصار تمسكهم بشعائر دينهم على قدر ما يجدون فى نفوس حكامهم من غيرة على الدين وما فى طبيعة مجتمعاتهم ، من اتجاه نحو الصلاح أو الفساد ، أو من سير نحو الرقى أو الانحطاط .

واقعنا من المسئول عنه ؟

ونلاحظ في حياتنا الحاضرة أثراً مؤسفة خلفتها لنا عهود مظلمة من عهود الاستعمار ومفاسده ، فأورثت بعض النفوس النفاق وضعف الإيمان الحقيقي وقلّ التدين ، وعدم المبالاة بأداء ما كتب علينا من فروض دينية ، ويستوى في ذلك الكثير من المتعلمين وغير المتعلمين ، حتى أصبحت هذه الحالة ظاهرة ، لها خطرهما في كيانتنا الدينية كدولة تؤمن بالله تعالى ، وبرسوله الكريم ودينها الرسمي هو الإسلام ، والله سبحانه وتعالى ، حذرنا ضارباً لنا الأمثلة لعلنا نتفكر ونتعقل بما حدث للأمم السالفة فقال في كتابه العزيز : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الأنفال : ٥٣] .

وأغلب الظن أن هذه الظاهرة يلمسها ويلحظها المسلمون ، لأنها متفشية في أغلب شعوب أقطارهم الإسلامية ، ولا يغيب عنهم ضررها وسوء عواقبها ، وما أشك في أننا نحن وإياهم لعلى خطر عظيم ، إذا لم نجب داعى الله الذى أوجب علينا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأنه لن يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله .

وهذا لا يمنعنا من أن نغتبط ونبارك تلك الصحوة الإسلامية المباركة التى نشهدها فى عالمنا الإسلامى فى هذه الحقبة من تاريخنا ، راجين لها الاستمرار وأن تؤتى أكلها بإذن الله ، على أن تحرص كل الحرص على الفهم الواعى للدين الإسلامى وأبعاده ، وأعماقه ، ومراميه ، وجوهره قبل عرضه ، داعين لها بأن يحميها الله العظيم من الدخلاء والمنافقين ، وأصحاب المنافع الشخصية ، والمتاجرين بها .

كتاب يخدم الهدف الإسلامي

وفي هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم لعالم جليل من علماء الإسلام والفقهاء الحنبلي ألا وهو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، زين الدين ، جمال الدين أبو الفرج البغدادي ، ثم الدمشقي ، الشهير بابن رجب الحنبلي - لقب جده - الحافظ المحدث ، المؤلف ، المشهور بعنوان : (الذل والإنكسار للعزير الجبار) أو «الخشوع في الصلاة» - هذا الكتاب من يتأمله جيداً دعوة مخلصه بإلحاح ، ومناداة في إصرار ، أن تكون - أيها المسلم - مجاهداً ومؤزراً في مكافحة عادة ترك الصلاة ، ومعالجة مرض قلة التدين الذي تلمحه في مجتمعنا ، الذي فشا وانتشر بين الناس بفعل هجمات : الصليبية ، والتبشيرية ، والاستعمار ، والشيعية ، والصهيونية . ولكن لا نريد أى صلاة ، نريد صلاة خاشعة حقيقية ، فالخشوع في الصلاة صفة من صفات المؤمنين الصادقين ، وقد قدم ابن رجب للخشوع بصفة عامة ، ثم تعرض لكيفية تحقيق الخشوع في كل ركن من أركان الصلاة ، مما يجعل المسلم يقظاً واعياً ، مؤكداً من موضوع أن خشوع القلب يتبعه بالضرورة اللازمة خشوع الجوارح مما يعطى ملمحاً إصلاحياً تربوياً هاماً نحن أحوج إليه في عصرنا الحاضر .

إن هذا الكتاب الذي ندرسه ونحققه ونعلق عليه حافل - دون مبالغة - بما يقنع المتردد ، ويردع المتعنت ، ويشبع طالب العلم والمعرفة بأمور دينه ، بل إنه يشبع - أكثر - الباحث عن الصفاء الروحي وكيفية الوصول إليه .

الحل ..

أنتى أدعو كل مسلم دعوة صادقة للصلاة ، لأن الصلاة هي طريق الفلاح والخلص ، الصلاة هي طريق الطهارة حساً ومعنى ، يجب علينا أن نعرف أحكامها وكيفيةها وكذلك جوهرها ولبها ، ومعنى معرفة الجوهر معرفة أركانها ، وشروطها ، وآدابها وأنواعها .

إنى أعلم أن التحدث عن ظاهرة قلة التدين أو فهم الدين فهماً غير سليم موضوع حساس مثير للقليل والقال ، وكل مسلم مهما كانت منازعه ومشاربه سيتحسس ، ولو ظاهراً لإسلامه ، ولكن ما قيمة هذا التحسس الصورى ، إذا لم نتدارك أفراد مجتمعنا بالحث على التمسك بالدين وأداء الصلوات فى أوقاتها ، إذ هناك فى الواقع المشاهد فى مجتمعنا مسلمون كثيرون لا يمتون للإسلام إلا بالاسم أو بشهادة الميلاد أو النشأة بين قوم يدعون للإسلام .

مسلمون والله أعلم !!

- مسلمون لا حصر لهم جهلاء لا يعرفون من الإسلام وأركانه وأحكامه شيئاً يذكر .

- مسلمون أذعياء من ملل ونحل ضالة يعرفون عن الإسلام ماليس منه .

- مسلمون عديدون أعمتهم المدنية الغربية عن حقائق دينهم، وسمو مبادئه ، فهم لا يجدون فى أحكام دينهم إلا أنها أغلال تكبلهم ،

وموانع تحول دون انطلاقهم في حرياتهم الآتمة .

وأمثال هؤلاء المسلمين لا يجدون في أنفسهم رغبة في أن يستمعوا إلى أى دعوة تدعوهم إلى التدين ، أو تحضهم على إقامة شعائر الدين ، وإذا واجههم أحد في معرض الجد والنصح بشيء من سوء عملهم ، فمنهم من يستنكر ذلك استنكارًا مكتومًا مكبوتًا ، ومنهم من تأخذه العزة بالإثم ، إن كان واهى الإيمان ، سليط اللسان أن يقول :

● ما هذا التهجم والتدخل في حريات الناس الشخصية ؟!

● وما هذا التشدد والتزمت في دين الله ؟!

● وما هذا التأخر والجمود في القرن العشرين الذى قارب على الانتهاء ؟

● وهل هناك إجبار وإكراه على إقامة الصلاة قسرًا ؟

وقد يعنفك أو يؤنبك بعضهم ويقول لك : وماذا يهملك إذا أنا صليت ، أو لم أصلي ؟ أنا مسئول عن نفسى ، وأنت مسئول عن نفسك فقط ، لا حاجة لى إلى نصحك ووعظك ، فوجهه إلى نفسك !!

وقد يقول قائل لك : مالى وللصلاة ، فإن أكثر الذين نراهم يصلون ، يؤدون الفرض ، وينقبون الأرض فسادًا .

كلمة حق

ولا نقول لك جرب حظك ، وانصح من تشاء من أصدقائك الذين لا يصلون ولا يستحون ، واستمع إلى ما يقولون من جدل أو حجج أو تفنيد أو تأنيب . فلا تبتس بما يقولون ، وتذكر قول الرسول ﷺ : « لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا

علمه ، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

ويعلم الله أننا لا نقصد من هذه الدعوة المخلصة لله ولرسوله ، سوى النصح وابتغاء مرضاة الله تعالى ، ولا نريد أن نعيب أفرادًا ، أو نجرح شعور جماعات ، أو ننقد أشخاصًا بعينهم لقلّة تدينهم ، ولا نريد أن نخص أقباطًا أو طوائف أو هيئات بالذم أو القذح في عقائدهم أو سلوكهم ، لأنهم يتركون الصلاة ، فهذا أبعد ما يكون عن مقاصدنا وتفكيرنا ، لأنه ليس من مبادئ الإسلام ، ولا من خلق القرآن الحكيم أعمال التشهير أو التنديد أو الطعن في أحوال الناس وسلوكهم ، وديننا القويم السمع رسم لنا طريق الدعوة إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالمنافسة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وبالذم والهداية للضالين ، فلقد كان محمد عليه الصلاة والسلام ، معلمنا الأول ، زعيمنا ومرشدنا ، وقدوتنا ، كان يلقى من أهله وقومه المشركين والمعاندين أشد ألوان الإساءة والإيذاء ، ثم يقول وهو قائم بين يدي ربه : « اللهم أهدى قومي فإنهم لا يعلمون » ولكن بعد انتشار الإسلام لم يأمر الدين بالسكوت على المنكرات ، وكان من أظهر فضائل وخصائص الأمة الإسلامية أنها صارت كما صورها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس . تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾ [١١٠ : آل عمران]

وليست هذه الدعوة التي ندعوها هي أول دعوة إلى هذا القصد الديني النبيل ، كما أنها لن تكون آخر دعوة من نوعها . بل إن الناس ما عاشوا سوف يستمعون إلى صوت الداعي إلى اتباع أوامر الشرع ، والحرص على فروض دينهم مثل حرصهم على صحتهم ومالهم ومتاعهم

أو أكثر ، والعمل مع العاملين على إحياء كتاب الله وسنة رسوله
بالجهاد والصدق والإخلاص في العمل .

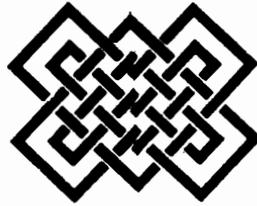
حتى تفرعهم القوارع

وها نحن أولاء مازلنا نسمع كل يوم في الإذاعة المسموعة والإذاعة
المرئية أصوات الواعظين من الخطباء والعلماء والأساتذة المتحدثين في
حقائق الدين ولزوم العمل بأصوله والتمسك بمبادئه الكريمة الأصيلة .
واتباع ما جاء به القرآن الكريم . ونحن مازلنا نقرأ ما يكتبه العلماء
والأدباء والمثقفون في الصحف والمجلات والكتب من بحوث ودراسات
دينية توجه الناس إلى ضرورة التفقه والتدين ظاهراً وباطناً ، وممارسة
العبادات قولاً وعملاً ، ومن الناس من يسمع ويتعظ ، ويرجع إلى
صوابه ؛ ويتبع نصح الناصحين ، ومنهم من يسمع ويتردد ، ولا يزال
يتأرجح بين الحق والباطل ، ومنهم من لا يابيه ولا يبالي ، وهؤلاء لن
يغيروا ما بأنفسهم إلا إذا قرعتهم القوارع ، ولا يؤمنون حتى يروا
العذاب الأليم .

وكم نرى في زماننا هذا حرمان من الإسلام تنتهك : نهب وسرقة
واستباحة لأموال الناس من محدودى الدخل ، وللمال العام ، كذب
وغش وخداع ونفاق وتزوير وتحايل ، متاجرة بالسموم لهدم الشباب
من أجل أموال حرام لن تنفع في الدنيا ولا في الآخرة . نرى صلوات
تهمل ، نرى مساجد تهجر ، نرى شعائر تعطل ، نرى مسلمين وما
هم بمسلمين للأسف الشديد !! فهل نسكت ونرضى ونستسلم على ما
يحدث !؟

لقد انتهكنا الحرمات وارتكبنا الرذائل ، واستفحلت مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، لأننا بعدنا عن الله ، فضعف إيماننا ، وقل تديننا نحن أيضاً ، وانعدمت غيرتنا على دين الله تعالى . إن الله يحب الذين يغارون على دينه وحرماته ، ويعملون صفوفاً متراصة في تكوين جبهة قوية من الناصحين والمرشدين والدعاة والغيورين في وجه المستهترين والغافلين عن ذكر الله ، وعن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

والآن وبعد هذه الكلمات استأذنك أيها القارئ المفضل - إلى أن تصاحبني عبر الصفحات القادمة كي نقرأ معاً ما كتبه ابن رجب الحنبلي عن الخشوع في الصلاة أو (الذل والإنكسار للعزیز الجبار)



سيرة ابن رجب الحنبلي

هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلَامي البغدادي ثم
الدمشقي ، كنيته أبو الفرج ، أما لقبه فهو زين الدين ، وله لقب آخر
أورده ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»
هو «جمال الدين» .

ويعرف أيضاً بعبد الرحمن أحمد بن رجب ، زين الدين ، وجمال
الدين أبو الفرج البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب — لقب
جده — الحافظ المحدث ، المؤلف ، المشهور .

المولد

كان مولد ابن رجب الحنبلي في بغداد العباسية في ربيع الأول عام
٧٣٦ هـ .

ويذهب ابن حجر العسقلاني في درره الكامنة (٤٢٨/٢) ،
ومعه إسماعيل باشا البغدادي صاحب كتاب «هدية العارفين»
(٥٢٧/١) أن مولد ابن رجب الحنبلي كان في عام ٧٠٦ هـ .

أما الزركلي في الاعلام (٦٧/٤) فقد ذهب إلى أن مولده كان في
عام ٧٣٦ هـ .

وأعتقد أن ذلك هو الصواب ، فقد قال ابن العماد الحنبلي في
شذراته (٣٣٩/٦) أنه قدم من بغداد — أي ابن رجب — مع والده
إلى دمشق السورية ، وهو صغير سنة ٧٤٤ هـ . فلو قلنا أن مولده

كان عام ٧٠٦ هـ فمعنى ذلك أن سنه عام ٧٤٤ هـ — وهو عام قدومه على دمشق — سيكون ثمانية وثلاثون عاماً ، مما لا يتفق مع وصف ابن العماد له حينذاك ، ولذلك نرجح أن يكون مولده عام ٧٣٦ هـ أى عند دخوله دمشق عاصمة سوريا كان سنه حوالى ثمانى سنوات .

النشأة وطلب العلم

قضى مؤلفنا ابن رجب الحنبلى فترة حياته الأولى ببغداد والتي امتدت ثمانى سنوات ، ثم غادرها وقدم دمشق مع والده شهاب الدين أحمد بن رجب عام (٧٤٤ هـ) حيث قضى حياته كلها إلى أن توفى فيها ودفن .

ولكنه كان قد ذهب إلى مكة ومصر المحروسة سعياً وراء العلم والمعرفة .

كان جد ابن رجب إماماً محدثاً ، أما والده فقد أخذ بيده لحضور مجالس العلم فى دمشق ، حيث سمعاً معاً من الشيخ محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم الحجاز ، وكذلك من الشيخ إبراهيم بن داوود العطار . وقد اشتغل ابن رجب بسماع الحديث الشريف باعتهاء والده ، حتى أجازته ابن النقيب والنوى وهو غير النوى صاحب كتاب الأذكار لأنه توفى عام ٦٧٦ هـ أى قبل مولد ابن رجب بحوالى ٦٠ عاماً .

وقد استمع ابن رجب الحنبلى إلى العلم فى مكة المكرمة على مجلس الشيخ الفخر عثمان بن يوسف .

وفي مصر المحروسة استمع إلى صدر الدين بن الفتح الميديمي ، كما استمع إلى جماعة من أصحاب ابن البخاري ومن علماء مشهود لهم بالكفاءة والعلم .

كما قرأ بن رجب الحنبلي القرآن الكريم بالروايات كما أنه استمع إلى المشايخ وقرأ عليهم وأخذ منهم حتى بلغ من العلم درجة أنه خرج لنفسه مشيخة مفيدة .

ويقول ابن العماد الحنبلي : إنه كان للرجل - ابن رجب - مجالس علم أو مجالس تذكير للقلوب يحضرها الناس عامة ، هي مباركة نافعة ، ومالت القلوب بالحبّة إليه . [راجع : شذرات الذهب [٣٣٩/٦]

مؤلفات ابن رجب

من أهم مؤلفات ابن رجب المعروفة لنا :

- ١ - شرح جامع الترمذي .
- ٢ - شرح قطعة من البخاري وقد سمي شرحه «فتح الباري في شرح البخاري» . وهو غير كتاب ابن حجر العسقلاني .
- ٣ - ذيل طبقات الحنابلة في جزأين ، جعله ذيلاً على طبقات الأصحاب للقاضي أبي الحسين أبي يعلى الشهيد ، بدأ فيه بأصحاب القاضي أبي يعلى من وفيات سنة ٤٦٠ هـ ، وانتهى فيه إلى وفيات ٧٥١ هـ واشتمل على الترجمة لـ ٥٥٢ من علماء الحنابلة حسب طبقاتهم .
- ٤ - اللطائف في وظائف الأيام ، بطريق الوعظ .
- ٥ - القواعد الفقهية يقع في ٥٠٠ صفحة .
- ٦ - شرح الأربعين النووية .

- ٧ - كتاب أهوال القبور .
- ٨ - الكشف والبيان عن النذور والإيمان .
- ٩ - كفاية أو حماية الشام بمن فيها من الأعلام .
- ١٠ - البشارة العظمى في أن حظ المؤمن من النار الحمى .
- ١١ - استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياح القدس .
- ١٢ - الاستيطان فيها يعتصم به العبد من الشيطان .
- ١٣ - مورد الظمآن إلى معرفة فضائل القرآن وله مخطوطة نادرة (قمنا بتحقيقه لمكتبة القرآن الكريم) .
- ١٤ - نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس .
- ١٥ - القول العذاب في تزوج أمهات أولاد الغياب .
- ١٦ - الكلام على لا إله إلا الله .
- ١٧ - صفة النار والتحذير من دار البوار .
- ١٨ - وقعة بدر .
- ١٩ - ذم الخمر .
- ٢٠ - مسألة الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وقبل الصلاة .
- ٢١ - شرح حديث (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً) .
- ٢٢ - الفرق بين النصيحة والتغيير .
- ٢٣ - العلم النافع وغيره .
- ٢٤ - ذم المال والجاه .
- ٢٥ - كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة (قمنا بتحقيقه لمكتبة القرآن بالقاهرة) .
- ٢٦ - اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملاء الأعلى .
- ٢٧ - نزهة الأسماع في مسألة السماع واختيار الأولى
- ٢٨ - كتاب (الذل والإنكسار للعزیز الجبار) أو الخشوع في

الصلاة وهو الذى بين أيدينا اليوم .

وأحب أن ألفت انتباه القارئ إلى أنه إذا أراد المزيد من المعلومات عن سيرة ابن رجب الحنبلى وعن رسائله ومؤلفاته ومصنفاته فعليه أن يعود إلى كتاب معجم المؤلفين لابن المراد جمال الدين الذى ذكر فيه بالتفصيل التام أشهر مؤلفات العلماء الحنابلة وقمنا بتحقيقه لأول مرة (مكتبة القرآن) ، كما أنه من الممكن أن يعود إلى الدراسة التى كتبناها عن ابن رجب ومؤلفاته فى تحقيقنا لكتابه (مورد الظمان إلى معرفة فضائل القرآن) هذا . وقد توفى ابن رجب عام ٧٧٥هـ بعد حياة دامت ٥٩ عاماً ، حفلت بالسعى فى طلب العلم والتدريس وتأليف الكتب .

منهجنا فى التحقيق

١ - اعتمدت فى تحقيق كتاب (الذلل والإنكسار للعزير الجبار) أو (الخشوع فى الصلاة) لابن رجب على نسخة مطبوعة قديمة محفوظة بدار الكتب المصرية ، تم طبعها بالمطبعة العباسية المصرية وتقع فى ١٦ صفحة من القطع الكبير . كما اعتمدت على خطوط مصورة على ميكروفيلم يحمل رقم (٤٧٨٨٣) محفوظ بدار الكتب المصرية من ضمن ما صور من خارج الدار ويضم المخطوط مجموعة رسائل لأبى زين الدين عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلى منها : استنشاق نسيم الانس من نفحات رياض القدس ، واختيار الأولى فى شرح حديث اختصاص الملاء الأعلى ، والذلل والانكسار للعزير الجبار (الخشوع فى الصلاة) ورسائل أخرى وقد تم تصويرها من مكتبة فلورنسا الإيطالية .

٢ - قمت بتخريج جميع الآيات القرآنية الواردة في الكتاب وجمت
بتامها في الهامش حيث إن ابن رجب كثيراً ما يذكر جزءاً من الآية ولا
يكملها - وقمت بالتعليق على الآيات بما يناسب موضوع الكتاب .
٣ - خرجت الأحاديث تخريجاً علمياً بالرجوع إلى المصادر
الموثوق بها للسنة ذاكراً مكان الحديث ورقم الجزء والصفحة والبيانات
الكاملة للحديث .

٤ - خرجت بعض الأخبار والآثار التي وردت عن الصحابة
والتابعين والصالحين كي يقف القارئ على صحة وموضع وورود
الخبر .

٥ - وضحت معاني المفردات مستعيناً بكتب اللغة والمعاجم
العربية بعد أن قمت بتصحيح الرسالة كلها .. إملائياً ونحوياً ولغوياً
ووضعت علامات الترقيم كي يستقيم النص .

٦ - كنت أتمنى أن أعد الفهارس العلمية لهذا الكتاب كي تعين
القارئ على الوصول إلى ما يريده ولكن بسؤال أهل العلم والخبرة قالوا
لي إنه من الأفضل أن يعيش القارئ مع هذه الرسالة فيجىء ثمرتها
المرجوة .

وختاماً : إن الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى أما نحن فبشر سمنا
النقص وعدم الكمال لذلك أستسمحك أيها القارئ الكريم عذراً إن
وجدت تقصيراً أو نقصاً .

والله ولي التوفيق

يسرى عبد الغنى

القاهرة في: ١٣ من مارس ١٩٨٩ م
٧ من شعبان ١٤٠٩ هـ

النص المحقق لكتاب

الذُّكْرِ وَالْانْكِسَارِ لِلْعَزِيزِ الْجَبَّارِ
(الْحَشْوَعُ فِي الصَّلَاةِ)
لِلْإِمَامِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ
(٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)

obeikandi.com

قال ﷺ :

« اللهم أحيى مسكيناً ، وأميتى مسكيناً ، واحشرنى فى
زمرة المساكين » .

[أخرجه ابن ماجه (٢ / ١٣٨١) كتاب الزهد (٤١٢٦)]

obeikandi.com

(خطبة المؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، والحمد لله رب العالمين ...
الحمد لله جابر القلوب المنكسرة من أجله ، وغافر ذنوب
المستغفرين بفضله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا
شئ كمثلِه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ، وخيره بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً
رسولاً ، فاختر مقام العبودية مع رسله .

وكان يقول : « اللهم أحيى مسكيناً ، وأميتى مسكيناً ،
واحشرنى فى زمرة المساكين^(١) » تنويهاً بشرف هذا المقام وفضله .
ﷺ وعلى آله وصحبه ، والمُستمسكين^(٢) بحبله ، وسلم تسليمًا .

وبعد ...

(١) حديث أخرجه ابن ماجه (١٣٨١/٢) كتاب الزهد (٤١٢٦) عن أبى سعيد الخدرى قال :
أحبوا المساكين فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى دعائه : « الحديث ... » ، وكذا أخرجه
الترمذى (٢١١٣/٩) كتاب الزهد من رواية أنس وفيه : « فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ »
الحديث ، قال العجلونى فى كشف الحفاء (٢٠٧/١) : « ورواه الطبرانى فى الدعاء بسند رجاله ثقات
عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « الحديث » ا هـ . وفيه « توفى » بدل
« أميتى » .

(٢) أى المسكين ، المحصين بكتاب الله الكرم .

obeikandi.com

- طوبى للمنكسرين .
- أصل الخشوع
- خشوع القلب
- وصول الخشوع إلى الأعضاء
- أين أبغيك يا الله ؟

obeikandi.com

طوبى للمنكسرين

فإن الله سبحانه وتعالى مدح في كتابه المُخبتين^(٣) له والمنكسرين لعظمته الخاضعين والخاشعين لها . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ^(٤) ﴾ .

وقال : ﴿ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(٥) ﴾ .

ووصف المؤمنين بالخشوع له في أشرف عباداتهم التي عليها يحافظون فقال ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ^(٦) ﴾ . ووصف الذين أوتوا العلم بالخشوع حيث يكون

(٣) الخبتين : أى المتواضعين لله تعالى ، الخاشعين له ، نقول : أحببت إلى ربه أى اطمان إليه .
وغير مجاهد قوله تعالى : ﴿ وبشر الخبتين ﴾ بمعنى المطمئنين ، وقيل : هم المتواضعون .
وقال الفراء : أى تخشعوا لربهم سبحانه وتعالى .

وأحببت لله أى خشع ، وأحببت أى تواضع (راجع لسان العرب / ١٠٨٧) .

(٤) الأنبياء / ٩٠ — إن الخاشع لله تعالى يدفعه خشوعه دوماً للمسايرة إلى عمل القربات وفعل الطاعات ، ويكون دعاؤه دعاء الموقن بوعد الله تعالى ووعيده ، ولذلك فهو يدعو الله رغباً فيما عند الله من الثواب ، ورهباً مما عنده سبحانه وتعالى من العقاب .

(٥) الأحزاب / ٣٥ — وقد عرف الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٨٨/٣) الخشوع بأنه السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع ، والدافع إليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما في الحديث : « أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

(٦) المؤمنون : ١ ، ٢ — فلاح المؤمنين مقرون بصفات بينها الآيات الأولى من سورة المؤمنون : خشوع في الصلاة ، إعراض عن اللغو — فعل للزكاة — حفظ للفروج — رعاية له مانات والعهود — محافظة على الصلوات .

وإذا نظرنا في هذه الصفات نظرة فاحصة عرفنا أن الفلاح ليس أخروياً فقط ، ولكنه فلاح في حيا الدنيا أيضاً إن تحققت هذه الصفات في المؤمن ، ولنلاحظ أن المولى جل علاه بدأ الآيات بذكر 'صلاة وأنهاها بها ، لأن الصلاة هي بداية طريق بناء المجتمع الإسلامي الناجح ، وهي الاطر الذي تدور داخله كل الأمور الأخرى حافظة لها من أى زرع ، لذلك كانت هي الأساس في تقويم أعمال =

كلامه مسموعاً . فقال : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان^(٧) سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان ليكون يزيدهم خشوعاً ﴾^(٨) .

أصل الخشوع

وأصل الخشوع هو لين القلب ودقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له كما قال صلى الله عليه : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب^(٩) » فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام لهذا كان النبي صلى الله عليه يقول في ركوعه في الصلاة « خشع لك سمعي وبصري ونخي وعظمي » . وفي رواية : « واستقل به قدمي »^(١٠) ورأى بعض السلف^(١١) رجلاً يعيث بيده في الصلاة فقال :

= المسلم في الآخرة ، فإذا صلحت صلاتنا صلحت أعمالنا كلها ، وإذا لم تكن كذلك بطل عملنا والعباد بالله .

(٧) ذقن الإنسان كما يقول الرازي في مختار الصحاح (٢٢٢ ، ٥٩٥) هي مجمع لحيه ، واللحي : منبت اللحية من الإنسان وغيره .

(٨) الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

(٩) حديث متفق عليه . أخرجه البخاري في صحيحه (١٩/١) كتاب الإيمان ، وأخرجه مسلم (١٢١٩/٣) كتاب المساقاة (١٠٧) ، وكذا أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣١٨/٢) كتاب الفتن (٣٩٨٤) ، والدارمي في سننه (٢٤٥/٢) كتاب البيوع . وكلهم أخرجه عن طريق النعمان بن بشير من حديث طويل .

(١٠) حديث أخرجه مسلم (٥٣٥/١) كتاب صلاة المسافرين (٢٠١) ، وأبو داود (٢٠١٢/١) كتاب الصلاة (٧٦٠) ، والترمذي (٣٠٥/١٢) كتاب الدعوات ، والنسائي (١٩٢/٢) كتاب التطيق (١٠٥٠) كلهم عن طريق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح بدون قوله : « وما استقل به قدمي » فإنه قد أخرجه الدارقطني في سننه (٣٤٢/١) حديث رقم (٣) عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أيضاً .

(١١) السلف أجدادنا من المسلمين العظام ، أو رجال الدين والعلم والصلاح الذين قدموا الكثير =

لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه^(١٢)، وروى ذلك عن حذيفة رضى الله عنه وسعيد بن المسيب ويروى مرفوعاً لكن بإسناد لا يصح^(١٣)

خشوع القلب

قال المسعودي عن أبي سنان عن حدثه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في قوله تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(١٤)، قال هو الخشوع في القلب وأن تلين كتفك^(١٥) للمراء المسلم وأن لا تلتفت في صلاتك. وقال عطاء بن السائب عن رجل عن

= والكثير لخدمة الفكر الإسلامي، والسلفية تعنى الإلتواء إلى هؤلاء والأخذ من علمهم الفياض البعيد عن البدع وعدم مخالفة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإجماع أصحاب رسول الله ﷺ، واجتهاد العلماء الأفاضل المشهود لهم بالثقة والفضل... إذن السلفية لا تعنى الجمود والتأخر، لا تعنى التزمّت والتخلف كما يزعم بعض المتحذلقين، والمضيقهين.

(١٢) اعلم أن مكون الجوارح واطمئنانها وخضوعها لخالقها عز وجل مرتبط بتحقيق الخشوع في القلب المسلم، ولهذا يجب أن تتجه جهود المعلمين والدعاة إلى ضرورة إيقاظ الضمائر والمهم، وتحقيق انبل المعاني الا وهو خشوع القلوب قبل أن تخشع الجوارح، ولا نريد خشوع للجوارح مجرد عن خشوع القلوب، فعندما تستقيم الأبدان وتكون خاضعة ملتزمة بأمر الله تعالى إلتزاماً نابغاً من قلوب خاشعة عالمة بجلال الله تعالى وهيبته.

(١٣) أورده الفزالي في إحياء علوم الدين: ١٥١/١، بلفظ: « رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعث بلحيته في الصلاة فقال.....، وساقه بلفظه.

قال الحافظ العراقى: أخرجه الترمذى في النوادر من حديث أبى هريرة بسند ضعيف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم.

(١٤) المؤمنون: ٢ — راجع الأقوال التي أوردها ابن رجب الحنبلى في تفسير الآية الكريمة — وراجع أيضاً تفسير ابن كثير (٢٣٨/٢).

(١٥) كتفك أى جناحك... والمراد أن يلين المسلم جانبه لأخيه المسلم، لا يتعالى عليه، لا تحقره أو تحقره بل يكون معه في سلوكه مثال طيب للتواضع والحب والرحمة والرفقة.

وقد علمنا القرآن أن نخفض جناحنا لإخواننا في الايمان، والله قادر على أن يأقى بقوم يحبهم ويجبونه، يكون التواضع والرفقة سلوكهم في معاملة المؤمنين، وفي نفس الوقت أعزة على الكافرين. راجع الآية (٢١٥) من سورة الشعراء، والآية (٥٤) من سورة المائدة.

على رضى الله عنه: « الخشوع خشوع القلب وأن لا تلتفت يمينا ولا شمالاً ». وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ قال : خائفون ساكنون

وقال أبو شوذب عن الحسن رحمه الله تعالى « كان الخشوع فى قلوبهم فغضوا له البصر فى الصلاة . وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد رحمه الله تعالى فى قوله ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ ^(١٦) قال « متواضعين » قد وصف الله تعالى فى كتابه الأرض بالخشوع فقال : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ ^(١٧) .

فاهتزازها وربوها وهو ارتفاعها مزبل لخشوعها فدل على أن الخشوع الذى كانت عليه هو سكونها وانخفاضها ، فكذلك القلب إذا [خشع] ^(١٨) فإنه تسكن خواطره وإرادته الرديئة التى تنشأ من اتباع الهوى ، وينكسر وينخضع لله فيزول بذلك ما كان فيه من التعاضم والترفع والتكبر ، ومتى سكن ذلك فى القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلها الصوت . حتى وقد وصف الله تعالى الأصوات بالخشوع فى قوله : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ ^(١٩)

فخشوع الأصوات هو سكونها ، وانخفاضها بعد ارتفاعها . وكذلك وصف وجوه الكفار وأبصارها يوم القيامة بالخشوع ^(٢٠)

(١٧) فصلت : ٣٩ .

(١٦) الأنبياء : ٩٠ .

(١٨) فى نسخة [إذا خشع] وهى ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة لهذا الكتاب .

(١٩) طه : ١٠٨ .

(٢٠) يشير ابن رجب هنا إلى قوله تعالى : ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ [المعارج : ٤٤] . ومعنى ترهقهم أى تغشاهم .

وصول الخشوع إلى الأعضاء

فدل ذلك على دخول الخشوع في هذه الأعضاء كلها، ومتى تكلف الإنسان تعاطى الخشوع في جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخلوه منه كان ذلك خشوع نفاق .

وهو الذي كان السلف يستعيذون منه . كما قال بعضهم : « استعيذوا بالله من خشوع النفاق » قالوا : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع^(٢١) .

ونظر عمر رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له : يا هذا ... ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب ، فمن أظهر خشوعاً غير ما في قلبه وإنما هو نفاق على نفاق^(٢٢) .

وأصل الخشوع الحاصل^(٢٣) في القلب، إنما هو من معرفة الله ومعرفة عظيمته وجلاله وكأله، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات^(٢٤) المتقتضية للخشوع .

(٢١) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٣١/٣) قال : قد جاء في الخبر : « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » .

قال الحافظ العراقي في تخرجه : أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفيه الحارث بن عبيد الأزدى ضعفه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، وحكم عليه نفس الحكم ابن معين أيضاً .

(٢٢) هذا الخبر أورده ابن الجوزي في كتابه : « تليس أبيليس » ٢٩١ ، عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال ... إلخ - مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وقد أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٩٦/٣) بلفظ : يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يطأطأ رقبته فقال : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب .

(٢٣) الحادث .

(٢٤) أي صفات الله عز وجل المنزهة عن كل نقص .

فمن خاشع لقوة مطالعته لقرب الله من عبده، واطلاعه على سره وضميره المقتضى للاستحياء من الله تعالى ومراقبته في الحركات والسكنات، ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله المقتضى للاستغراق في محبته والشوق إلى لقائه ورؤيته، ومن خاشع لمطالعته شدة بطشه^(٢٥) وانتقامه وعقابه المقتضى للخوف منه .

وهو سبحانه وتعالى جابر المنكسرة^(٢٦) قلوبهم من أجله، وهو سبحانه وتعالى يتقرب ممن يناجيه في الصلاة، ويعفر وجهه في التراب بالسجود كما يتقرب من عباده الداعين له السائلين له المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار^(٢٧)، ويوجب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القرب والإجابة .

أين أبغيك يا الله ؟

روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في كتاب الزهد بإسناده عن عمران القصير قال « قال موسى عليه السلام : أى رب .. أين أبغيك^(٢٨) ؟ قال :

(٢٥) الله سبحانه وتعالى لا يبطش ولا ينتقم ولا يعاقب من يقترب منه ، من يذكره دائماً ، من يخاف منه ، ولكنه سبحانه يفعل ذلك بأهل الضلال والفسق والكبر ، بمن نسوه سبحانه وتعالى ، بمن تحالفوا مع الشيطان .

(٢٦) الانكسار بمعنى القلب الخاشع ، وليس القلب المغرور ، الجاحد .

(٢٧) السحر مفرد الاسحار التى هى جمع تكسير على وزن أفعال . والسحر هو ثلث الليل الأخير ، وقت تلاشى الليل وإقبال النهار ، والسحر أيضاً آخر الليل قبيل الصبح — (راجع لسان العرب /

١٩٥٢) .

والاستغفار بالأسحار صفة من صفات المؤمنين المتقين الذين صدقوا مع الله في إيمانهم به ، وباليوم الآخر ، فكانوا بحق فرساناً بالنهار يعملون ويجدون مع خدمة الإسلام ، قواماً بالليل ، ذلك لأنهم جعلوا الدنيا جسراً يعبرون عليه للدار الآخرة .

(٢٨) أبغيك أى أجدك ، والمعنى أن المولى سبحانه وتعالى يكون حيث القلوب الخاشعة المتواضعة ، يقترب منها كل يوم باغاً فلولا ذلك لانهدمت هذه القلوب — والله أعلم .

ابغنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى إني أدنو منهم كل يوم باعًا فلولا ذلك لانهدموا». وروى ابراهيم بن (٢٩) الجنيد رحمه الله تعالى في كتاب المحبة عن جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار قال: قال موسى عليه السلام: إلهي... أين أبغيك؟ فأوحى الله تعالى إليه أن يا موسى ابغنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فإنى أدنو منهم في كل يوم باعًا ولولا ذلك لانهدموا (٣٠).

قال: جعفر فقلت لمالك بن دينار: كيف المنكسرة قلوبهم؟ فقال: سألت الذى أقرأنى الكتاب فقال: سألت الذى سأل عبد الله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم بم تنكسر؟ قال: المنكسرة قلوبهم بحب الله عز وجل.



(٢٩) من علماء الصوفية الأوائل ، ومن أكثرهم إتزاما بالقرآن والسنة المطهرة .
(٣٠) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب «الزهد» (ص ٩٥) عن عمران القصير وساقه بلفظه دون قوله «من أجلى» .

obeikandi.com

- الصبر والرضا
- الخشوع والعلم النافع
- وتصدع الجبل من خشية الله
- بيان الخشوع فى الصلاة
- هذه كفارة الذنوب
- طهارة و خشوع القلب

obeikandi.com

الصبر والرضا

وقد جاء في السنة الصحيحة ما يشهد بقرب الله من القلب المنكسر ببلائه، الصابر على قضائه والراضى بذلك، لما في صحيح مسلم عن أنى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال : ربّ كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده^(٣١) ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده^(٣٢) .

وروى أبو نعيم من طريق حمزة عن ابن شوذب قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتدرى لأى شيء أصطفيتك^(٣٣) على الناس برسالاتى وبكلامى ؟ قال : لا يارب قال : لأنه لم يتواضع لى أحد قط تواضعك^(٣٤) .

(٣٠) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد ، طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٣ م (ص ٩٥) عن عمران القصير وساقه بلفظه دون قوله ، من أجل ، .
(٣١) فلم تعده : أى لم تزره ، وزيارة المريض واجبة بل هى حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم .
فمن أنى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ه حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس ، [حديث منق عليه] .
(٣٢) حديث أخرجه مسلم (٤ / ١٩٩٠) في كتاب البر والصلة (٤٣) عن أنى هريرة رضى الله عنه في حديث طويل .

(٣٣) فعلها اصطنع ، والاصطفاء هو الاختيار والاجباء ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [البقرة / ١٣٢] فالله اختار لنا الدين ليكون هو هدى حياتنا ومصلاً وسراجاً منيراً لدينانا .

(٣٤) أورده الألوسى في روح المعاني (٥٦ / ٩) في تفسيره لآية : ﴿ قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾ . [الأعراف] . وقال : أخرج ابن أنى حاتم عن العلاء بن كثير قال : إن الله تعالى قال : يا موسى أتدرى لم كلمتك ؟ قال : لا يارب — قال : لأنى لم أخلق خلقاً تواضع لى تواضعك .

الخشوع والعلم النافع

وتواضعه هذا هو الخشوع ، وهو العلم النافع ، وهو أول ما يرفع من العلم ، فخرج النسائي من حديث جبير بن نفيير رضى الله عنه عن عوف ابن مالك رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء يوماً فقال : هذا أوان يرفع فيه العلم فقال رجل من الأنصار يقال له زياد بن لييد : يا رسول الله أو يرفع العلم وقد أثبت ، ووعته القلوب؟ فقال له رسول الله ﷺ: إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة ، وذكر ضلال اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله عز وجل . قال : لقيت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال: صدق عوف..ألا أخبرك بأول ذلك يرفع؟ قلت: بلى قال: الخشوع حتى لا ترى خاشعاً^(٣٥) .

وخرجه الترمذى من حديث جبير بن نفييل عن أبى الدرداء وأخبرته بالذى قال . فقال : صدق أبو الدرداء ، لو شئت حدثتك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً^(٣٦) . وقد قيل أن رواية النسائي أرجح .

(٣٥) لم أقف عليه عند النسائي في سننه ، ولكن قد أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٨١/٤) ، وابن ماجه (٣٤٤/٢) ، كتاب الفتن حديث (٤٠٤٨) كلاهما عن زياد بن لييد بنحوه . وقد نقل الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي محقق سنن ابن ماجه : في الروايد : هذا إسناده صحيح ، رجاله ثقات إلا أنه منقطع .

قال البخارى في التاريخ الصغير : لم يسمع سالم بن أبى الجعد بن زياد بن لييد . وتبعه على ذلك الذهبي في الكاشف وقال : ليس لزياد عند المصنف سوى هذا الحديث وليس له شيء في بقية الكتب .

(٣٦) حديث أخرجه الترمذى في سننه (١٢١/١٠) كتاب العلم بشرح الإمام ابن العرى المالكي عن أبى الدرداء ، وفيه : قال جبير : فليث عبادة بن الصامت . قلت : ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء ، قال : صدق أبو الدرداء (الحديث) .

وروى سعيد بن بشير عن الحسن رحمه الله تعالى عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال : « أول ما يرفع من الناس الخشوع » (٣٧) فذكره .
ورواه أبو بكر بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب مرسلًا وروى نحوه عن حذيفة من قوله . فالعلم النافع هو ما باشر^(٣٨) القلوب ، فأوجب لها السكينة والخشية والإخبات لله والتواضع والانكسار وإذا لم يباشر القلب ذلك من العلم وإنما كان على اللسان فهو حجة الله على ابن آدم يقوم على صاحبه وغيره كما قال ابن مسعود رضى الله عنه : « إن أقواما يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم^(٣٩) ولكن إذا وقع في القلب يرسخ فيه نفع صاحبه » .

(٣٧) أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣١٠/٤) عند تفسيره الآية « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » [١٦ / الحديد] .
قال قتادة : ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال : « الحديث ، وقد أورده علاء الدين بن حسام الدين الهندي في كتابه : « كثر العمال في سنن الأفعال والأفعال » (١٤٦/٣) حديث (٥٨٨٩) وعزاه للطبراني عن شداد بن أوس .
(٣٨) باشر بمعنى أثر وأتى أكله ، على القلب فخشى وسكن وخشع واطمن وتواضع .
(٣٩) الحديث أخرجه مسلم (٥٦٣/١) كتاب صلاة المسافرين (٢٧٥) عن أنى وائل الذى قال : جاء رجل يقال له نيلة بن سنان إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف .
للفأ تجده أم ياء : من ماء غير آسن أو من ماء غير ياسن ؟ قال : فقال عبد الله : وكل القرآن قد أحصيت غير هذا ؟ قال : إني لأقرأ الفصل في ركعة ، فقال عبد الله : هذا كهذه الشعر ؟ إن أقواما يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، الحديث ، .

فهذا الرجل لم ييم من القرآن الا برسمه فقط لا غير ، ولم يتدبر ويعى ما فيه ، ولم يتفكر .
ولذلك قال له ابن مسعود : أكل القرآن قد أحصيته وفهمته سوى هذا ؟ ، فأبان الرجل عن كيفية تعامله مع القرآن حيث إنه يقرأ الفصل في ركعة ، والمفصل على ما رجحه العلامة الزركشى في كتابه « البرهان في علوم القرآن » ، بتحقيق أستاذنا/ محمد أبو الفضل إبراهيم (٢٤٦/١) يبدأ بسورة (ق) إلى نهاية القرآن الكريم أى حوالى (٦٦) سورة ، ولذلك قال ابن مسعود : هذا كهذه الشعر ؟
والهذ في اللغة بالذال هو القراءة السريعة على حد ما قاله صاحب لسان العرب (ص ٤٦٤٣)
وللمزيد من التعريف بفضل (الفصل) وعدد سوره وما قيل فيه من أحاديث وأقوال راجع كتاب « مورد الظمان إلى معرفة فضائل القرآن » ، لإبن رجب الحنبلى والذى قدمناه لأول مرة للقراء من مخطوطة نادرة لم يكشف النقاب عنها من قبل وكانت دراستها لها وتحقيقها عبر مكتبة القرآن بالقاهرة .

وقال الحسن رحمه الله : « العلم علمان ! علم باللسان ، وعلم بالقلب فعلم القلب هو العلم النافع ، وعلم اللسان حجة الله على ابن آدم^(٤٠) » وروى مرسلًا^(٤١) عن الحسن رحمه الله تعالى عن النبي ﷺ ، وروى عن جابر رضى الله عنه مرفوعًا وعنه عن أنس رضى الله عنه مرفوعًا^(٤٢) ، ولا يصح وصله . فأخبر النبي ﷺ أن العلم الذى عند أهل الكتابين من قبلنا موجود بأيديهم ولا ينتفعون بشيء منه لما فقدوا المقصود منه وهو وصوله إلى قلوبهم حتى يجدوا حلاوة الإيمان به ومنفعته بحصول الخشية والإنابة لقلوبهم ، وإنما هو على ألسنتهم تُقام به الحجة عليهم . ولهذا المعنى وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْعُلَمَاءَ بِالْخَشْيَةِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ^(٤٣) ﴾ ، وقال :

(٤٠) جاءت في نسخة « على بن ادم » وهذا خطأ واضح والصحيح « على بن آدم » .

(٤١) الحديث المرسل هو ما سقط منه الصحاح ، أى رفعه التابعى إلى رسولنا ﷺ .

والمرسل إذا أسند عن ثقات يتقوى وتنكشف صحته .

وقد روى كثير من الرواة أحاديث مرسله ، ولهذا أفرد بعض المؤلفين كتبًا خاصة لبيان الأحاديث المرسله وأخرى لبيان الرواة الذين رووا أحاديث مرسله مثال لذلك : أبو داود في سننه له كتاب « الراسيل » والموقوف عكسه المرفوع وهو ما روى عن الصحاح من قول أو فعل أو تقرير ولم يرفعه إلى رسول الله ﷺ .

(٤٢) الحديث أورده أحمد بن عبد ربه في العقد الفريد (٢٢٧/٢) من قول الحسن بنحوه . وكذا المنذرى في الترغيب والترهيب (٦١/١ ، ٦٢) من رواية جابر ثم قال : رواه الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه بإسناد حسن ، ورواه ابن عبد البر في كتاب العلم عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح .

ثم أورد أيضاً رواية أنس . وقال : رواه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس .

والأصبهاني في كتابه ، ورواه البيهقى عن الفضيل بن عياض من قوله (أى أنس) غير مرفوع . قال الحافظ العراقى في تخريجه لأحاديث كتاب إحياء علوم الدين للغزالي (٥٩/١) أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر ، وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلًا بإسناد صحيح ، وأسندته الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزى .

(٤٣) فاطر : ٢٨ — الله لا يخشى أحداً ، إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعلم القدير العلم الموصوف بصفات الكمال ، الموصوف بالأسماء الحسنى ، وكلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم ، فالذى يخشى الله تعالى — من عباده —

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٤) .
 وَوَصَفَ الْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَنَا بِالْخُشُوعِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وِزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (٤٥) .

وقوله تعالى في وصف هؤلاء الذين أوتوا العلم ويخرون للأذقان سيكون ويزيدهم خشوعًا مَدْحٌ لِمَنْ أُوجِبَ لَهُ سَمَاعُ كِتَابِ اللَّهِ الْخُشُوعَ فِي قَلْبِهِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٤٦) . وَلَيْنَ الْقُلُوبِ هُوَ زَوَالٌ قِسَاوَتَهَا لِحَدُوثِ الْخُشُوعِ فِيهَا وَالرَّفَقَةِ .

وَقَدْ قَبَّحَ اللَّهُ مَنْ لَا يَخْشَعُ قَلْبَهُ لِسَمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ . قَالَ

== الْعُلَمَاءُ - (رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ٥٥٣/٣) .

(٤٤) الزمر : ٩ - القانت هو الخاضع المتواضع المتذلل لله وحده - وآنا الليل : ساعاته - فهو قائم بين يدي مولاه العظيم ، خاشع ، خاضع يتمثل أمامه الآخرة وما فيها من أهوال الحشر والعرض والحساب والصراف ، وهو في كل هذا يعلم أن المخرج هو الإلتجاء إلى رب العزة ، ولذلك فهو يرجو رحمة ربه ، لذلك قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فالعلم الحقيقي هو الذي يزيدني تواضعاً ، وخشوعاً ، وتقوى ، العلم الحقيقي هو الذي يظهر أثره جلياً في سلوك العبد مع ربه .

(٤٥) الإسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

(٤٦) الزمر : ٢٣ - لقد توعد الله القاسية قلوبهم الذين هم في ضلال مبين ، الذين لا تلين قلوبهم عند ذكره سبحانه وتعالى ، ولا تخشع ولا تفهم ما أنزل الله . بالويل أما الذين تحققت فيهم خشية الله القائمة على علم تام بجلاله وهيبته سبحانه فلهم شأن آخر مع كتاب الله الكريم حيث تقشعر الجلود خوفاً ورهبة وإجلالاً ، ثم تلين الجلود والقلوب وتصبح طيبة لأمر الله لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه . راجع تفسير ابن كثير (٥٠/٤) بتصرف .

تعالى : ﴿ اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا ﴾ (٤٧) الآية . قال ابن مسعود رضى الله عنه : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عُوتِبْنَا بهذه الآية إلا أربع سنين (٤٨) . خَرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَخَرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَزَادَ فِيهِ : فَجَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ يَعْتَابُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِسْلَامِهِمْ وَبَيْنَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَعْتَابُهُمُ اللَّهُ بِهَا إِلَّا أَرْبَعٌ سِنِينَ » (٤٩) .

وقد سمع كثير من الصالحين هذه الآية تُتلى ، فَأَثَرَتْ فِيهِمْ آثَارًا مُتَعَدَّةً فَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ عِنْدَ ذَلِكَ لِانْصِدَاعِ قَلْبِهِ بِهَا ! وَمِنْهُمْ مَنْ تَابَ عِنْدَ ذَلِكَ لِانْصِدَاعِ قَلْبِهِ بِهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَابَ عِنْدَ ذَلِكَ وَخَرَجَ عَمَّا فِيهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَخْبَارَهُمْ فِي كِتَابِ الْإِسْتِغْنَاءِ بِالْقُرْآنِ (٥٠) .

وتصدع الجبل من خشية الله !

وقال تعالى : ﴿ لَوْ اَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا

(٤٧) الحديد : ١٦ . وقامها قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالُوا عَلَيْهِمُ الْأَمْدَ فَفَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

قال ابن كثير (٣١٠/٤) : « أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وأن تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن ففهمه وتقاد له وتسمع له وتطيعه ، لذلك حذرنا الله تعالى أن نكون مثل الذين سبقونا طال عليهم الأمد وأشربوا حب الدنيا ففقس قلوبهم فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ، فلا ذكر الجنة يرغبهم في طاعة الله ، ولا ذكر النار أبعدهم عن معصيته .

(٤٨) أخرجه الإمام مسلم القشيري (٢٣١٩/٤) كتاب التفسير رقم (٢٤) عن ابن مسعود . (٤٩) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٤٠٢/٢) كتاب الزهد (٤١٩٢) عن أبي حازم أن عامر بن عبد الله بن الزبير أخبره أن أباه أخبره ... « الحديث » . فهو من حديث عبد الله بن الزبير وليس من حديث الزبير كما ذهب ابن رجب والله أعلم .

(٥٠) «الإستغناء بالقرآن» اسم كتاب لإبن رجب الحنبلي ، ذكره إسماعيل البغدادي في كتاب (هدية العارفين) (٥٢٧/١) طبع وكالة المعارف - إستامبول ١٩٥١ م .

مُتَّصِدًا مِّنْ خَشِيَةِ اللَّهِ ﴿٥١﴾ الآية ، قال أبو عِمْرَانَ الجَوْنِيُّ : والله لقد صرف إلينا ربنا في هذا القرآن ما لو صرفه إلى الجبال لمحاها ودحاها^(٥٢) . وكان مالك بن دينار رحمه الله يقرأ هذه الآية ثم يقول أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدغ^(٥٣) قلبه ، وروى عن الحسن رحمه الله تعالى قال يا بن آدم إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة^(٥٤) أو حدثت بها نفسك فاذكر عند ذلك ما حملك الله من كتابه مما لو حملته الجبال الرواسي^(٥٥) لخشعت وتصدعت ، أما سمعته يقول لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حاشعاً متصدعاً من خشية الله الآية ، فإنما ضرب لك الأمثال لتتفكر^(٥٦) فيها وتعتبر^(٥٧) بها [وتنزجر]^(٥٨) عن معاصي الله عز وجل وانت يا بن آدم أحق أن تخشع لذكر الله وما حملك من كتابه ، وآتاك من حكمه لأن عليك الحساب ، ولك الجنة أو النار. وقد كان النبي ﷺ يستعيد بالله من قلب لا يخشع كما في صحيح مسلم عن زيد ابن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول « اللهم إني أعوذ بك من علم لا

(٥١) الحشر : ٢١ . تمام الآية : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ ، فالآية مثل يعطيه الله لعباده حتى يمتثلوا لأمره سبحانه ، ولا يفكروا عن الخشوع لأوامر الله تعالى ، وكما يقول ابن كثير في تفسيره : إذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه خشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع لجلال الله ، وتتصدع من خشيته تعالى ؟ وقد فهمم عن الله أمره وتدبرتم كتابه .
(راجع ابن كثير في تفسيره : ٣٤٣/٤) .

(٥٢) دحاها : أى بسطها فجعل الجبال منبسطة ليس بها هضاب ولا مرتفعات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [التازعات : ٣٠] راجع مختار الصحاح (ص ٢٠٠) .
(٥٣) بمعنى خشع قلبه لله سبحانه وتعالى .
(٥٤) بذنب تركبه في حق الله ، أو منكروا نهي الله عنه تقرفه .
(٥٥) الجبال العالية ، الشامخة ، كالطود المرتفع .
(٥٦) التفكر بمعنى التأمل والتدبر للوصول إلى الإيمان الواعي المكمل بالخشوع والإطمئنان .
(٥٧) الاعتبار الامعاظ ، وأخذ الدرس والعظة .
(٥٨) و [تنزجر بها] ناقصة في طبعة المكتبة القيمة .

ينفع ، [مِنْ] وقلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها^(٥٩) » وروى نحوه عن النبي ﷺ من وجوه متعددة^(٦٠) و يروى عن كعب الأبحار قال : « مكتوب في الإنجيل : يا عيسى قلب لا يخشع علمه لا ينفع وصوته لا يسمع ، ودعاؤه لا يرفع »^(٦١) ، وقال أسد بن موسى في كتاب (الورع)^(٦٢) حدثنا مبارك بن فضالة كان الحسن رحمه الله تعالى يقول : إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدقوا بها ، وأفضى^(٦٣) يقينها إلى قلوبهم ، وخشعت لله قلوبهم وأبدانهم^(٦٤) وأبصارهم ، وكنت والله إذا رأيتهم رأيت قومًا كأنهم رأى عين^(٦٥) ، فوالله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل ، ولا اطمأنوا إلا إلى كتاب الله ، ولا أظهروا مالم يس في قلوبهم ، ولكن جاءهم من الله أمر فصدقوا به فنعتم^(٦٦) الله تعالى في القرآن أحسن نعت فقال : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على

(٥٩) حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٨٨/٤) كتاب الذكر ، حديث (٧٣) عن زيد بن أرقم رضى الله عنه ، ولفظة (مِنْ) بين المقوفتين زائدة من صحيح مسلم .
(٦٠) أخرجه أبو داوود (٩٢/٢) كتاب الوتر (١٥٤٨) ، وابن ماجه (١٢٦١/٢) كتاب الدعاء (٣٨٣٧) ، والنسائي (٢٦٣/٨) كتاب الإستعاذة (٥٤٦٧) كلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ : « اللهم إني أعوذ بك من الأربع ... ومن دعاء لا يسمع » ، وأخرجه الترمذى (٢٣/١٣) كتاب الدعوات عن عبد الله بن عمرو بنحو لفظ أبى هريرة مع تقديم وتأخير ثم قال الترمذى : وفى الباب عن جابر وأبى هريرة وابن مسعود وقال : هذا حديث حسن ، صحيح غريب ، من هذا الوجه من حديث عبد الله بن عمرو ، وقد أورد ابن رجب هذه الوجوه فى كتابه الهام « فضل علم السلف على الخلف » المطبوع فى مصر بمطبعة مصطفى الحلبي - سنة ١٣٤٧ هـ (ص ٤) .

(٦١) أى لا يصب إلى الله سبحانه وتعالى .

(٦٢) هذا الكتاب أخذ منه الكثيرون من أهل العلم والفقهاء .

(٦٣) بمعنى أدى .

(٦٤) أجسامهم وجوارحهم .

(٦٥) رؤية العيان .

(٦٦) وصفهم .

الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً^(٦٧) قال: حلماء لا يجهلون^(٦٨)، وإذا جهل عليهم حلموا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال: ﴿والذين يبيتون لربهم

(٦٧) الفرقان: ٦٣ - يمشون على الأرض هوناً، يمشون بسكينة ووقار، دون استكبار، حتى أن السفهاء إذا تسافهوا عليهم لم يردوا عليهم إلا بالخير والمعروف.

قال الشافعي:

متاركة السفيه بلا جواب أشد على السفيه من الجواب
وقال:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
وقال سالم بن ميمون الخواص:

سكت عن السفيه فظن أني عيت عن الجواب وما عيت
فإن كلمته فرحت عنه وإن خليته كمدأ يموت
شرار الناس لو كانوا جميعاً قذئ في جوف عين ما قذئ
فلئك مجاورنا أبداً سفيها خزيت لمن يجافيه خزيت
وقال الشافعي أيضاً:

أعرض عن الجاهل السفيه فكل ما قال فهو فيه
ما ضر بحر الفرات يوماً إن خاض بعض الكلاب فيه
وقال:

ومنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهده منه فيه
إذا غلب الشقاء على سفيه تقطع في مخالفة الفقيه
وقال لتوكل الليثي:

لا تتبع سبل السفاهة والخبثا إن السفيه معصف مشوم
(٦٨) الجهل هنا بمعنى السفه والحمق، وليس بمعنى ضد العلم:

يقول أبو العلاء المعري:

عداوة الحمق أغصى من صداقتهم فابعد من الناس تأمن شره الناس
وقال صالح عبد القدوس:

إحذر الأحق أن تصحبه إنما الأحق كالثوب الخلق
كلمبا رقته من جانب حركه الريخ وهنا فانحرق
كحمار سوء إن أقصمته رمخ الناس وإن جاع نيق
وإذا جالسته في مجلس أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا عاتبه كي يوعوى زاد شراً وتمادى في الحمق
عجياً للناس في أرزقاهم ذاك عطشان، وهذا قد غرق =

سجداً وقيامًا ﴿٦٩﴾ ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم
لربهم سجداً تجرى دموعهم على خدودهم فرقاً من ربهم . وقال الحسن

= ويقول واصل بن عطاء :

تخامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يشقى ذور الجهل
ويقول أستاذنا/ العقاد :

الطيش أن تامل ما تشتهي وقد يساوى الفع فيه الضرر
والحزم أن تحذر ما تقوى وقلمما يغنيك فيه الحذر
كفؤان إن وازنت حظيها يا صاح فاختر منهما ما حضر
ويقول المري :

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم وأن كنت في الحمقى فكن أنت أحقها
ويقول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ألا يجهلن أحد علينا فنحسل فوق جهل الجاهلينا
وأحيل القارئ للمزيد من التعريف بالخي الفعوى للحمق والحلم إلى أساس البلاغة لجار الله
الزحمشى (ص ١٤٥) ، وتفسير ابن كثير (٣/٣٢٤) وعن الحلم يقول المتنبى :

فما الحدائة عن حلمٍ بمانعةٍ قد يوجد الحلمُ في الشبانِ والشيب
ويقول الخزيمى :

أرى الحلمَ في بعضِ المواطنِ ذلةً وفي بعضها عزاً يسود صاحبه
وقال المتنبى :

وإذا الحلمُ لم يكن في طباعٍ لن يحلم تقدم الميلاذ
إذا قيل رفقاً قال للحلمِ موضعٌ وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ويقول كثير عزة :

وفي الحلم والإسلام للمرء وازعٌ وفي ترك أهواء الفؤاد التيم
بصائر رشد للفتى مستيئةً وأخلاق صدق علمها بالتعلم
ويقول البارودى :

وما الحلم عند الخطب والمرء عاجزاً يستحسن كالحلم والمرء قادرُ
ولو تكاليف السيادة لم يجب جان ولم يحو الفضيلة نائر
ويقول على بن مقرب :

والحلم في بعضِ المواطنِ ذلةً فاصفح وعاقب وأعجلن وتأبدا
ما قل حلم مصلحاً بل طالما عز السفيه الحلم عنه فافسدا

(٦٩) سورة الفرقان آية : ٦٤ .

والآية : ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ .

وكلمة [قياماً] ناقصة في طبعة المكتبة القيمة . ورفقاً . خرفاً من الله سبحانه وتعالى .

رحمه الله تعالى : لأمر ماسهروا ليلهم ، لأمر ما خشعوا نهارهم قال تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴾ (٧٠) قال وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام وإنما الغرام الملازم له مادامت السموات والأرض قال صلح القوم والله الذى لا إله إلا هو فاعملوا وأنتم تتمنون ، فإياكم وهذه الأمانى - رحمكم الله فإن الله لم يعط عبداً بأمنيته خيراً قط فى الدنيا والآخرة (٧٢) : وكان يقول يالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة .

= ومنه قول الله تعالى فى المنافقين فى سورة التوبة : ﴿ ويخلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ فإنهم ما حلفوا أنهم منكم إلا خوفاً وهلعاً منكم ، ولكنهم فى الحقيقة ليس منكم . ويقول المعرى :

لا تكونن للأمور هيوئنا فإلى خيبة يصير الهيوب
وقال أيضاً :

خف ديناً كما تخاف شريفاً صال لىث الشرى بظفر وناب
والصلال التى تخاف رداها شرها فى السرؤوس والأذنب
فاحذر من الإنس أذنانهم وأبعدهم وإن لقوك بتجبل وترحاب
(٧٠) الفرقان : ٦٥ - وقد ورد قول العالم الأريب والعلامة الصالح الحسن البصرى فى تفسير الحافظ ابن كثير (٣ / ٣٢٤) .

(٧١) (الغرام) فى اللغة هو الشر الدائم والعذاب ووصف المولى سبحانه وتعالى جهنم بأن عذابها كان غراماً .

قال أبو عبيدة : أى هلاكاً ولزماً لهم .

ورجلٌ (مُغْرَمٌ) من (الغرم) والدين .

وقد (أُغْرِمَ) بالشيء أى أولع به .

و (الغريمُ) الذى عليه الدين - يقال : خذ من غريم السوء ما منح .

وقد يكون الغريم أيضاً الذى له الدين .

قال كثير :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة مطولٌ مُغْنَى غريمها

و (أغرمه) و (غرمه تفريراً) بمعنى .

و (الغرامةُ) ما يلزم أداؤه وكذا (المغموم) و (المغموم)

وقد (غَرِمَ) الرجل الدية بالكسر (غُرْمًا) .

(٧٢) وفى ذلك يقول ربنا العظيم فى كتابه المجيد : ﴿ ليس بأمانىكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من

يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ [النساء / ١٢٣]

الخشوع والخاصعون

فصل : في بيان الخشوع في الصلاة

وقد شرع الله لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشئ^(٧٣) عن خشوع القلب وذله وانكساره ومن أعظم ما

= يقول علي بن مقرب :

إنما تدرك غايات المنى بسير أو طعانٍ وجراد
واللبيب الحى لا يحدعه لمان الآل عن حفظ المزد
ويقول الأبيورى

ومن نكد الأيام أن يبلغ المنى أحو اللؤم فيها والكريم يجب
ويقول أستاذنا العقاد :

لا تكن مؤثلاً لآمال قوم سوف تُمنى بأسهم منك بعد
وأخف ما استطعت منهم يخالوا أنهم من أذاك غنما يعد
ويقول على بن الجهم :

يا أيها المطلق آماله من دون أمالك آجال
كم أبلت الدنيا وكم جددت منا وكم تبلى وتغتن
ما أحسن الصبر ولا سيما بالحر إن ضاقت به الحال
ويقول مكثف بن معاوية :

ترى المرء يأمل ما لن يرى ومن دون ذلك ريب الأجل
وكم آيس قد أتاه الرجاء وذى طمع قد لواه الأمل
وتقول السيدة/ عائشة التيمورية :

كم ذا نهىء بالأمال أنفسنا حتى كأن الفتى طول المدى باق
وانظر تر الناس سكرى غفلة عظمت أدارها الدهر واستغنى عن الساق
وما الحظ الا امتلاك المرء عفته وما السعادة إلا حسن أخلاق
ويقول شوق :

الأمانى حلم في يقظة والنايا يقظة من حلم
ويقول هبة الله بن عرام :

نمىل مع الآمال وهى غرور ونطمع أن تبقى وذلك زور
وتحدعنا الدنيا القليل متاعها ولشيب فينا واعظ ونذير
وتزداذ فيها كل يوم تنافسا وحرصاً عليها والمراد حقير
ونلب ما لا يستطيع وجوده وللموت منا أول وأخير

(٧٣) الناتج عن خشوع القلب واطمئنانه .

يظهر فيه ذلك من العبادات الصلاة، وقد مدح الله تعالى الخاشعين فيها بقوله: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (٧٤)؛ وقد سبق بعض ما قاله السلف في تفسير الخشوع في الصلاة، وقال ابن طهبة عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ يعني: متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من شماله، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل. وقال ابن المبارك عن أبي جعفر عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ (٧٥) قال: القنوت (٧٦) الركون والخشوع وغض البصر وخفض الجناح (٧٧) من رحمة الله تعالى، قال: وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة هاب (٧٨)

(٧٤) المؤمنون : ١ ، ٢ .

(٧٥) البقرة : ٢٣٨ .

(٧٦) القنوت فمناها (قنت) وأصله الطاعة وجاء في القرآن الكريم : ﴿ ومن يقنت لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين ﴾ [الأحراب / ٣١]

﴿ يا مريم أقتى لربك واسجدي وأركعي مع الراكعين ﴾ [آل عمران] .

﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ... ﴾ [الزمر] .

﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين .. ﴾ [النحل] .

﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [النساء] .

﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً ممنكن مسلمات مؤمنات قانتات ﴾

[التحريم] .

﴿ ... سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ [البقرة] .

﴿ وله من في السموات والأرض كل له قانتون ﴾ [الروم] .

﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [البقرة] .

﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ [آل عمران] .

﴿ والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ﴾ [الأحراب] .

﴿ وصدقت بكلمات ربها وكنهه وكانت من القانتين ﴾ [التحريم] .

والقنوت الطاعة لله سبحانه وتعالى ، ثم سمي القيام في الصلاة قنوتاً .

وفي الحديث الشريف : أفضل الصلاة طول القنوت ، — ومنه قنوت الوتر .

(٧٧) بذلك جعل معنى القنوت يفيد العموم والشمول فهو الركون إلى الله تعالى ، والخشوع ،

وعدم النظر إلى ما حرم الله ، والتواضع — كل ذلك من رحمة الله تعالى .

(٧٨) خاف وخشى ، من أن يلفت نظره إلى شيء من الأشياء ، وعلى سبيل المثال أن يعث بشيء مثل

الحصى ، أن يتذكر أمراً من الأمور ، أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا الفانية .

الرحمن عز وجل عن أن يشد نظره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بتيء ، أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً مادام في صلاته . وقال منصور عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ سِيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ ^(٧٩) قال : الخشوع في الصلاة . - وخرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « الصلاة مثى مثى ، تشهد في كل ركعتين ، وتخشع وتضرع وتمسك ، وتقع يديك ^(٨٠) ، يقول : ترفعهما إلى ربك عز وجل وتقول يا رب يا رب يا رب فمن لم يفعل ذلك فهي خداج ^(٨١) »

(٧٩) الفتح : ٢٩ - وقد أورد ابن كثير هذا القول في تفسيره (٢٠٤/٤) عن منصور ، عن مجاهد قال : الخشوع ، قلت : ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه يقصد بذلك العلامة التي تكون في الوجه من كثرة السجود لله تعالى .

وربما كان بين عينيه - أي العلامة - من هو أفسى قلباً من فرعون .
وكم من دعى يتباهى بهذه العلامة ، وقلبه ملىء بالنفاق ، والغش والغرور .
فمطلوب الصلاة هو الخشوع والتواضع لله ، والسجود هو الذي يحدث هذا الخشوع الذي تظهر علاماته على وجه العبد .

(٨٠) إقناع اليد : هو رفعهما في ذلٍ وخضوع .

ومنه قوله تعالى عن الظالمين : ﴿ مقنعي رؤوسهم ﴾ [٤٣ / إبراهيم] .
والصلاة مثى مثى ، تشهد كل ركعتين ، وتخشع وتضرع وتمسك ، وتقع يديك . ومعنى تخشع من (خشع) والخشوع هو الخضوع . ويقال : (خشع) و (اخشع) و (خشع) بصره أي غضه .

و (الخشعة) أكمة متواضعة .

وفي الحديث : « كانت الأرض خشعة على الماء ثم دحيت » - و (التخشع) تكلف الخشوع . وتضرع من ضرع أي خضع وذل . وتضرع إلى الله تعالى أي ابتهل له جل شأنه .
والمسكين من السكون أي الوداع والوقار .
والمسكين هو الفقير الذي يفلق عليه داره ولا يسأل الناس إلحافاً . عطوه أو منعه .
ولا يسأل ولا يفتن إليه فيعطى .
وليس المسكين الذي ترده القمة واللقتان ، وإنما المسكين الذي لا يسأل الناس ، ولأنه لا يسأل ، لا ينتبه الناس إليه فيعطوه .

وقد تكون المسكين بمعنى الذلة والضعف .

(٨١) الخداج عما قال الأصمعي : النقصان ، وأصل ذلك ، من خداج الناقة إذا ولدت ولدا ناقص الخلق أو لغير تمام كما جاء في لسان العرب لابن منظور [١١٠٨] .

هذه كفارة الذنوب

وفي صحيح مسلم عن عثمان - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال :
« ما من أمرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها
وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة^(٨٢) لما قبلها من الذنوب ما لم
تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله »^(٨٣) .

ومما يظهر فيه الخضوع والذل والانكسار من أفعال الصلاة وضع
اليدين إحداهما على الأخرى في حال القيام وقد روى عن الإمام أحمد
رحمه الله أنه سئل عن المراد بذلك فقال هو ذل بين يدي عزيز^(٨٤) .

= والخديج هو المولود قبل تمام الأيام ، إن كان تام الخلق .
وفي الحديث : « كل صلاة لا يقرأ فيها بأمر الكتاب فهي خداج ، وأم الكتاب هي الفاتحة ،
وخداج أى ناقصة .
ويقول العرب (أخذجت) الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق ، وإن كانت أيامه تامة فهي
(مخدج) بضم الميم وتسكين الخاء وكسر الدال وضم الجيم .
(راجع مختار الصحاح للرازي مادة [خدج] ص ١٧٠) .
والحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢١١/١) ، والترمذى (١٧٥/٢)
كتاب الصلاة كلاهما عن الفضل بن عباس وسكت الترمذى عليه .
وبحث في سنن النسائي فلم أقف عليه .
وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/٤) ، وابن ماجه (٤١٩/١) كتاب إقامة الصلاة (١٣٣٥)
عن المطلب - يعنى ابن أبى وداعة .
وقد أخرجه أبو داود (٢٩/٢) أبواب التطوع (١٢٩٦) ، ووقع منه أن اسمه عبد المطلب ،
قال الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين للفرزالي (١٥٠/١) .
أخرجه الترمذى والنسائي نحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب .
(٨٢) إلا كانت ماحية لما قبلها من الذنوب ، ما لم يرتكب المرء كبيرة ، ويظل ذلك الزمن كله -
والله أعلم .
(٨٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٦/١) كتاب الطهارة ، حديث رقم (٧) عن ذى
النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه .
(٨٤) قال الشوكاني (محمد بن علي) في كتابه : « نيل الأوطار (١٨٧/٢) نشر مكتبة الدعوة
الإسلامية - بدون تاريخ » =

قال علي بن محمد المصرى الواعظ رحمه الله تعالى : ما سمعت في العلم أحسن من هذا^(٨٥) . وروى عن بشر الحافى^(٨٦) رحمه الله تعالى قال : (اشتبهى) منذ اربعين سنة أن أضع يداً على يد في الصلاة ما يمنعى إلا أن يكون قد أظهرت من الخشوع ما ليس في القلب مثله « وروى محمد بن نصر المروزي رحمه الله تعالى بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة » ، وفسره بعض رواته بقبض شماله بيمينه وانحنى .

وإسناده عن أبى صالح السمان رحمه الله تعالى قال : « يبعث الناس يوم القيامة هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى » . وملاحظة هذا المعنى في الصلاة يوجب للمصلى أن يتذكر وقوفه بين يدي الله تعالى للحساب .

طهارة و خشوع القلب

كان ذو النون رحمه الله تعالى يقول في وصف العباد : « لو رأيت أحدهم وقفاً قام إلى صلاته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده

— قال الحافظ ، قال العلماء : الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل ، وهو أمنع للعبث وأقرب إلى الخشوع ، ومن اللطائف قول بعضهم : القلب موضع النية ، والعادة أن من حرص على حفظ شيء جعل يديه عليه .

(٨٥) [قال علي بن محمد المصرى الواعظ رحمه الله تعالى : ما سمعت في العلم بأحسن من هذا] هو علي بن محمد المصرى ، علاء الدين ، فقيه واعظ — كانت وفاته نحو سنة (١١٢٧ هـ) وملاحظة أن وفاة ابن رجب الحنبلى كانت في عام (٧٩٥ هـ) ، نعرف أن العبارة التي بين القوسين ، عبارة أدخلت على كتاب الخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلى ، ولعلها كانت تعليقا على هامش النسخة ، فأدخلها الناسخ في متن نص الكتاب — والله أعلم .

راجع في ترجمته الأعلام للزركلى (١٦٨/٥) وهديّة العارفين بأهواء الكتب والمؤلفين لاسماعيل البغدادى — طبع وكالة المعارف — إستانبول ١٩٥١ م (٧٧٣/١) .

(٨٦) بشر الحافى — زاهد متصوف ، ولد في مرو عام ١٥٠ هـ الموافق (٧٦٧ م) وانتقل إلى بغداد ، واجتمع حوله كثير من المريدين وكانت وفاته عام (٢٢٧ هـ) الموافق (٨٤١ م) .

خطر على قلبه أن ذلك المقام الذى يقوم تناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل وعقله . « أخرج أبو نعيم رحمه الله تعالى .

ومن ذلك إقباله على الله عز وجل وعدم التفاته إلى غيره، وهو نوعان : أحدهما : عدم التفات قلبه إلى غير ما هو مباح له وتفريغ القلب للرب عز وجل .

وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة -رضى الله عنه- عن النبي ﷺ إنه قال في فضل الوضوء وثوابه ثم قال : « فإن هو قام وصلى فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذى هو أهله، وفرغ قلبه لله انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه »^(٨٧) الثاني : عدم الالتفات بالنظر يمينا وشمالاً ، وقصر النظر على موضع السجود ، وهو من لوازم الخشوع للقلب وعدم التفاته . ولهذا رأى بعض السلف مصلياً يعبث في صلاته فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وسبق ذكره . وخرج الطبراني من حديث ابن سيرين^(٨٨) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ يلتفت في

(٨٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٧١/١) كتاب صلاة المسافرين (٢٩٤) في حديث طويل وفيه « هوله أهل ، بدل ، هو أهله ، و « كهينة يوم ، بدل ، كيوم ، . وقد أورده المنذرى في كتابه المشهور « الترغيب والترهيب » [٩٥/١] وعزاه إلى عمرو بن عبسة بزيادة نون . وهو خطأ .

قال النوى في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » [المطبعة المنيرية] (٣٢/٢) : « ورأيت جماعة ممن صنّف في ألفاظ المذهب يزيدون فيه نوناً وهو غلط فاحش ومنكر ظاهر »
ويذكر « عمرو بن عبسة » أو « عمرو بن عبسة » أبو نجيح روى له مسلم حديثاً واحداً ، وروى له أبو داود (٤) أحاديث ، والترمذى : (١١) حديثاً ، والنسائى (٥) أحاديث ، وابن ماجه : (٥) أحاديث ، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦) أحاديث — حسب ما وجدت في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .

(٨٨) محمد بن سيرين صاحب كتاب تفسير الأحلام المشهور ، وهو من علماء السنة الأجلاء المشهود لهم بالعلم والورع والتقوى .

صلاته عن يمينه وعن يساره ثم أنزل الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾^(٨٩) فخشع رسول الله ﷺ فلم يكن يلتفت يمينه ولا يسره^(٩٠)، ورواه غيره عن ابن سيرين رحمه الله تعالى مرسلًا وهو أصح .

وخرج ابن ماجه من حديث أم سلمة رضی الله عنها قالت: «كان الناس في عهد النبي ﷺ إذا قام أحدهم يصلي لم يعد^(٩١) بصره موضع قدميه فتوفي رسول الله ﷺ فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصره موضع جبينه، [فتوفي أبو بكر وكان عمر] رضی الله عنه^(٩٢) فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصره موضع القبلة .

وكان عثمان بن عفان رضی الله عنه فكانت الفتنة^(٩٣) فالتفت الناس يمينًا وشمالاً^(٩٤) .

(٨٩) المؤمنون : ١ ، ٢ .

(٩٠) أورده أبو بكر محمد بن موسى الحازمي في كتابه « الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار » أصدرته دار إحياء التراث العربي في بيروت في طبعة مصورة على طبعة إدارة الطباعة النورية (١٣٤٦ هـ) وقد اطلعت عليها في دار الكتب المصرية .

يقول الحازمي (ص ٦٠) الحديث عن ابن سيرين مرسلًا بلفظ : كان رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة نظر هكذا وهكذا ، فلما نزلت ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية . ولم يكن يلتفت يمينه ولا يسرة ، ينظر يصير بصره نحو الأرض .

قال الحازمي : وهذا وإن كان مرسلًا غير أن له شواهد في الأحاديث الثابتة تشهد له .

وقال السيوطي في كتابه « أسباب النزول » في (ص ١٢١) : أخرج الحاكم عن أبي هريرة رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ فطأطأ رأسه ، وأخرجه ابن مردويه بلفظ : كان يلتفت في الصلاة .

(٩١) لم يعد بصره : أى لم يتجاوز بصره موضع قدميه من شدة الخشوع .

(٩٢) في الأصل : فتوفي عمر ، والتصويب من سند ابن ماجه في سننه (٥٢٣/١) : [فتوفي أبو بكر وكان عمر رضی الله عنه] .

(٩٣) في الأصل : ثم توفي عثمان بن عفان رضی الله عنه ، وكانت الفتنة ، والعبارة الصحيحة :

[وكان عثمان بن عفان فكانت الفتنة] من سنن ابن ماجه (٥٢٣/١) .

(٩٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٥٢٣/١) كتاب الجنائز عن أم سلمة رضی الله عنها .

وفي مجمع الزوائد : في إسناد مصعب بن عبد الله ، وذكره ابن حبان في الطبقات =

إحذر أن يختلسك الشيطان

وفي صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، سألت النبى ﷺ عن الالتفات فى الصلاة فقال : « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » (٩٥) .

وخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وأبو داود رحمه الله تعالى ، والنسائى رحمه الله تعالى (٩٦) من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى الله قال : « لا يزال الله مقبلاً على العبد فى صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه » (٩٧) وخرج الإمام أحمد والترمذى من حديث الحارث الأشعري

قال المعلى : ثقة ، وموسى عبد الله لم أر من جرحه ولا وثقه .

ومحمد بن إبراهيم ذكره ابن حبان فى الثقات .

قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٩٢/١) : رواه ابن ماجه بإسناد حسن إلا موسى بن عبد الله بن أبى أمية الخزمى لم يخرج له من أصحاب الكتب الستة غير ابن ماجه ، ولا يحضر فى فيه جرح ولا تعديل .

وأقول أن موسى بن عبد الله بن يزيد هذا روى له أحمد بن حنبل فى مسنده (٤٣٥/٦) حديثاً واحداً ولم يشر أصحاب المعجم المفهرس إلى الحديث الذى رواه ابن ماجه فى سننه عن موسى بن عبد الله ابن يزيد . والله أعلم .

(٩٥) حديث أخرجه البخارى (١٣٧/١) كتاب الآذان ، وأبو داود فى سننه (٢٣٩/١) كتاب الصلاة (٩١٠) ، والنسائى (٨/٣) كتاب السهو (١١٩٦) كلهم رووه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

قال الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) نشر مكتبة الدعوة الإسلامية (٣٣٣/٢) : « والحكمة فى التفرير عنه ما فيه من نقص الخشوع والإعراض عن الله سبحانه وتعالى وعدم التصميم على مخالفة وسوسة الشيطان » .

(٩٦) [وأبو داود رحمه الله تعالى ، والنسائى رحمه الله تعالى] ما بين القوسين ناقص فى طبعة المكتبة القيمة لهذا الكتاب .

(٩٧) أخرجه أبو داود بهذا اللفظ عن أبى ذر الغفارى (٢٣٩/١) كتاب الصلاة (٩٠٩) ، وكذا أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده (١٧٢/٥) ، والنسائى (٨/٣) كتاب السهو (١١٩٥) ، والدارمى (٣٣١/١) كتاب الصلاة كلهم عن أبى ذر بلفظ : « لا يزال الله مقبلاً على العبد فى صلاته ما لم يلتفت فإذا صرف وجهه انصرف عنه » .

كما أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٩٠/١) بلفظ أحمد وعزاه لأحمد وأبى داود =

عن النبي ﷺ « أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل
 بهن فذكر منها » وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم
 يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا » (٩٨) .

وفي المعنى أحاديث أخرى متعددة وقال عطاء: سمعت أبا هريرة (٩٩)

= والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وصححه .

(٩٨) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (١٣٠/٤) ، والترمذي (٣٠٣/١٠) كتاب
 الامثال ، كلاهما عن الحارث الأشعري ، قال الترمذي في سننه : هذا حديث حسن صحيح غريب .
 وأورده المنذرى في الترغيب والترهيب (١٨٩/١) ثم قال رواه الترمذي وقال : حديث حسن
 صحيح ، والنسائي بعضه وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحهما ، والحاكم وقال : صحيح عز شرط
 البخارى ومسلم .

قال الحافظ : وليس للحارث في الكتب الستة سوى هذا .

واعتقد أن الحارث هذا الحارث بن الحارث الأشعري روى له الترمذي في كتاب الأدب/ ٧٨ ،
 وروى له أحمد بن حنبل ١٣٠/٤ و ٢٠٢ . والله أعلم .

(٩٩) كان رضوان الله عليه عابداً ، زاهداً ، كثير الصلاة والذكر والاستغفار ، شديد المراقبة لله
 تعالى ، وهذا يتناقض مع استحاحة الكذب على رسولنا الكريم كما يزعم من يوجه الذم لهذا الرجل
 الجا ، كى ينفذ إلى إنكار السنة النبوية ككل . لقد عرف القوم أبا هريرة وعرفوا قدره وتقواه
 فقدموه ليصلى على عائشة رضى الله عنها ، وفي رواية موثوق بها أنه صلى على أم سلمى رضى الله عنها .

لم يكن للرجل قصر كما قال من لا خلاق لهم في عصرنا الحديث ، إنما كانت له دار ، والدار لا
 تدل على أى نوع من الرخاء أو الرفاهية . وقد استباح بعض الذين هاجموا هذا الصحابى الجليل ،
 فحرفوا الكلمة وجعلوها قصراً بدل دار كما نص على ذلك ابن الأثير صاحب كتاب الكامل في
 التاريخ .

كان رضوان الله عليه مقلداً من الدنيا يتصدق بما يصل إلى يده من مال . بعث إليه مروان بن الحكم
 بمائة دينار كى يجتبره بها ، فلما صبح الصباح أرسل إليه ، وقال له إنى غلظت ولم أردك بها ، وإنى إنما
 أردت غيرك فقال أبو هريرة : قد أخرجتها ، فإذا خرج عطائى فخذها منه .

وقف أبو هريرة رضى الله عنه مواقف لا تدل على أن له أى أهواء سياسية ، منها أنه عارض مروان
 ابن الحكم وإلى المدينة يوم أراد المسلمون دفن الحسن بن على رضى الله عنهما مع جده المصطفى عليه
 الصلاة والسلام ، وعارض مروان ذلك . قال له أبو هريرة يوم ذاك : تدخل فيما لا يعينك ؟ ...
 ووقف ضد الثوار مع الصحابة يدافع عن ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه المفترى عليه ...
 ووقف محابداً فى الفتنة التى قامت بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، ولم ينضم إلى أحد الفريقين لمطمع
 سياسى يظفر به لو غلب الذى وقف بجانبه .

كان رضى الله عنه وأرضاه موضع ثقة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وكانت أحاديثه محل عناية
 جميع الفقهاء ، وأئمة المجتهدين فى مختلف الأمصار الإسلامية =

يقول: « إذا صلى أحدكم فلا يلتفت فإنه ينجى ربه إن ربه (١٠٠) أمامه وإنه ينجيه فلا يلتفت قال عطاء (١٠١) رحمه الله تعالى : وبلغنا أن الرب عز وجل يقول يا بن آدم إلى من تلتفت، أنا خير لك ممن تلتفت إليه » وخرجه البزار وغيره مرفوعًا ، والموقوف أصح (١٠٢) .

= حقاً لقد كانت كثرة أحاديثه محل استغراب وتعجب من بعض الناس لتأخر إسلامه وقصر مدة صحبته لرسولنا الكريم ، ولكنهم مع هذا كانوا يعرفون السبب الحقيقي في كثرة أحاديثه ..

قال عنه عبد الله بن عمر : هو أعلمنا برسول الله وأحفظنا بحديثه .

ويؤكد طلحة بن عبيد الله أن أبا هريرة قد سمع من رسول الله مالم يسمع الصحابة ، وعلم مالم يعلموا ، وأنهم كانوا قوماً أغنياء لهم بيوتات وأهلون ، وكانوا يأتون رسول الله طرقي النهار ، ثم نرجع ، أما أبو هريرة فكان معه حيثما دار ، لذلك لم يشكوا لحظة واحدة في أن أبا هريرة علم مالم يعلمه الصحابة ، وسمع مالم يسموه

وإنني أدعو المؤمنين فقط أن يأخذوا بسنة رسول الله التي رواها هذا الرجل الورع .

لقد عرف الرسول فيه حرصه على الحديث وأخذه وحفظه فقال له (صلعم) يوماً لقد ظننت يا أبا هريرة الا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث .

إن أحاديث أبي هريرة قد محصها جميع أئمة السنة وبنوا بجلاء ما صح منها ، وما هو ضعيف أو موضوع . ولم تصح نسبة حديث واحد من الموضوع أو الضعيف إلى أبي هريرة اليمنى الطيب ، وإنما كان ذلك من بعض الرواة . والصحيح منها إذا درس وقورن بأحاديث الصحابة تبين أنه لم ينفرد منه إلا بالقليل فمسندته شائع في المسانيد كلها .

(١٠٠) [إن ربه] : ناقصة في طبعة المكتبة القيمة .

(١٠١) (عطاء) هو إسم لأكثر من رجل ثقة رووا أحاديث المصطفى ﷺ : عطاء مولى أبي أحمد ، عطاء رجل من بني شيبه ، عطاء الخراساني المسمى عطاء بن أبي مسلم أو عطاء بن أبي رباح أبو محمد ، عطاء بن السائب ، وعطاء الشامي ، وعطاء بن فروخ ، وعطاء بن أبي ميمونة ، وعطاء بن يزيد الليثي ، وعطاء بن يسار .

١ ز من روى الأحاديث المطهرة منهم : عطاء بن أبي رباح أبو محمد ، ويليهِ عطاء بن يسار .
٢ (١) أوردته المنذرى في التذويب والترهيب (١٩١/١) عن أبي هريرة وعزاه إلى البزار . وكذا الميمني .

وفي كتاب « كشف الأستار عن زوائد البزار » تأليف : نور الدين الهيثمي ، والذي حققه الأستاذ/ حبيب الرحمن الأعظمي (مؤسسة الرسالة) [٢٦٧/١] .

حديث رقم (٥٥٣) — قال البزار : رواه طلحة بن عمرو بن عطاء عن أبي هريرة موقوفاً . وقال الأستاذ/ الأعظمي محقق كشف الاستار . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه إبراهيم بن يزيد الخوذى .

وقال أبو عمران الجوني^(١٠٣) رحمه الله تعالى : « أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: إذا قمت بين يدي فقم مقام العبد الحقير الذليل، وذم نفسك فهي أولى بالذم، وناجني بقلب وجل ولسان صادق^(١٠٤)، ومن ذلك الركوع، وهو ذل بظاهر الجسد، ولهذا كانت العرب تأنف منه ولا تفعله حتى بايع بعضهم النبي ﷺ أن لا يخر إلا قائماً^(١٠٥)، يعنى يسجد من غير ركوع كذلك فسره الإمام أحمد رحمه الله تعالى والمحققون من العلماء وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾^(١٠٦) وتام الخضوع في الركوع أن يخضع القلب لله وينذل له، فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله عز وجل ولهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه « خشع لك سمعي وبصري ونخي وعظمي وما استقل به قدمي^(١٠٧) » إشارة إلى أن خشوعه في ركوعه قد حصل بجميع

(١٠٣) عبد الملك بن حبيب الأزدي الجوني أبو عمران : روى له البخاري في كتاب المغازي / ٣٨ ، ومسلم في كتاب العلم / ٢ ، وفي مسند أحمد ٧٩/٥ .

(١٠٤) الحديث أورده الإمام أحمد في كتاب « الزهد » ص ٨٥ عن أبي عمران الجوني عن أبي الجلد : أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام : « إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تتنفض أغضائك ، وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً ، فإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك ... » الخبر .

وكذا أورده الغزالي في إحياء علوم الدين ولم يعزه لأحد (١٦٣/١) .

(١٠٥) أخرجه النسائي (٢٠٥/٢) كتاب التطبيق (١٠٨٤) : سمعت يوسف بن ماهك يحدث عن حكيم قال : بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخرج إلا قائماً .

قال السندي في شرحه على سنن النسائي (أبو عيسى محمد بن سورة) : قوله (أن لا أخرج) من الخور وهو السقوط أي لا أسقط إلا قائماً ، أي أرجع من الركوع إلى القيام ثم أخرج منه إلى السجود ولا أخرج من الركوع إليه .

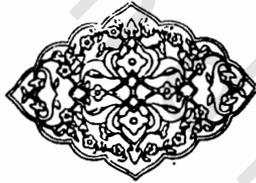
ويقول السندي : هذا هو المعنى الذي فهمه النسائي ، ثم ذكر فيه معاني أخرى ، وبالجملة فالحديث مما أشكل على الناس فهمه وما أشار إليه النسائي أحسن .

وفي رأينا أنه هو نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن زجب الحنبلي في الكتاب الذي معنا .

(١٠٦) المرسلات : ٤٨ .

(١٠٧) سبق لنا تخریج هذا الحديث في نفس الكتاب .

جوارحه ومن أعظمها القلب الذى هو ملك الجوارح والأعضاء فإذا خشع خشعت الجوارح والأعضاء كلها تبعاً له ولخشوعه، ومن ذلك السجود وهو أعظم ما يظهر فيه ذل العبد لربه عز وجل حيث جعل العبد أشرف أعضائه وأعزها عليه وأعلها حقيقة أوضع ما يمكنه ، فيضعه فى التراب متعفراً ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله عز وجل . ولهذا كان جزاء المؤمن إذا فعل ذلك أن يقربه الله عز وجل إليه «فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(١٠٨) كما صح ذلك عن النبي ﷺ قال الله تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾^(١٠٩) .



(١٠٨) حديث أخرجه مسلم (٣٥٠/١) كتاب الصلاة (٢١٥) ، وأبو داود (٢٣١/١) .
 كتاب الصلاة (٨٧٥) ، والنسائي (٢٦٦/٢) كتاب التطبيق (١١٣٧) . كلهم عن أبى هريرة
 رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ .
 ورواه البزار عن ابن مسعود بلفظ - وساقه - ورواه ابن النجار عن عائشة والطبراني عن ابن
 مسعود بلفظ : أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً .
 (١٠٩) العلق : ١٩ .

obeikandi.com

● احذر أن يختلسك الشيطان

● السجود خشوع

● أنواع العبادات التي يظهر

فيها الخضوع

● معنى المساكين

● فضل مقام العبودية

obeikandi.com

السجود خشوع

والسجود أيضا مما كان يأنف منه المشركون المستكبرون عن عبادة الله عز وجل ، وكان بعضهم يقول : أكره أن أسجد فتعلوني إستي^(١١٠) ، وبعضهم يأخذ كفا من حصى فيرفعه إلى جبهته ويكتفى بذلك عن السجود . وإبليس إنما طرده الله لما استكبر عن السجود لمن أمره الله بالسجود له ، ولهذا يبكى إذا سجد المؤمن ويقول أمر ابن آدم بالسجود ففعل فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار^(١١١) ... ومن تمام خشوع العبد لله عز وجل وتواضعه له في ركوعه وسجوده أنه إذا ذل لربه بالركوع والسجود وصف ربه حينئذ بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو فكأنه يقول : الذل والتواضع وصفي ، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك ، ولهذا شرع للعبد في ركوعه أن يقول سبحان ربي العظيم ، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى^(١١٢) وكان النبي ﷺ أحيانا يقول في سجوده : سبحان ذي الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة^(١١٣) » وروى عنه ﷺ أنه قال ليلة في سجوده أقول كما قال

(١١٠) الإست هو العجز ، وقد يراد به فتحة الشرج (حلقة الدبر) ، والجمع استاه [راجع لسان العرب لابن منظور / ١٩٣٦] .
(١١١) حديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان / ١٣٣ ، وابن ماجه كتاب الإقامة / ٧٠ ، وابن حنبل في مسنده ٤٤٣ / ٣ .

وهذه رواية مسلم : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله ، أمر ابن آدم بالسجود فاه الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت ، فلي النار .

وفي رواية : « ... يقول يا ويلى .. » وهي رواية أنى كريب .

وهذا الإسناد مثله غير أنه قال : فعصيت فلي النار .

(١١٢) حديث أخرجه ابن ماجه (٢٨٧ / ١) كتاب إقامة الصلاة (٨٩٠) عن ابن مسعود . وكذا أخرجه أبو داوود (٢٣٠ / ١) كتاب الصلاة (٨٧١) ، وابن ماجه (٢٨٧ / ١)

حديث (٨٨٨) ولكن عن حذيفة بن ايمان .

(١١٣) أخرجه أبو داوود (٨٧٣ / ١) كتاب الصلاة (٨٧٣) ، والنسائي (٢٢٣٢) كتاب =

أخى داود عليه السلام أعفر وجهي في التراب لسيدى ، وحق لسيدى أن تغفر الوجوه له « قال الحسن رحمه الله تعالى : « إذا قمت إلى الصلاة فقم قائماً فقم كما أمرك الله ، وإياك والسهو والالتفات . إياك أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره وتساءل الله الجنة وتعوذ به من النار وقلبك ساه لا تدرى ما تقول بلسانك » أخرجه محمد بن نصر المروزي رحمه الله تعالى. وروى بإسناده عن عثمان بن أبي أوس قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ صلى صلاة جهر فيها بالقراءة، فلما فرغ قال : « هل أسقطت من هذه السورة شيئاً قالوا لا ندرى فقال أبو بن كعب نعم آية كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : ما بال أقوام يتلى عليهم كتاب الله فلا يدرون ما يتلى عليهم مما يترك ؟ هكذا أخرجت عظمة الله من قلوب بنى إسرائيل ، شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ولا يقبل الله من عبد عملاً يشهد بقلبه مع بدنه^(١١٤) والآثار في هذا المعنى كثيرة جداً ومر عصام

= التطبيق (١١٣٢) عن عوف بن مالك من حديث طويل بلفظ : « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » في الركوع والسجود وقد أورده النووى فقال : روينا عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال قمّت مع رسول الله ﷺ فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ . قال : ثم ركع بقدر قيامه . يقول في ركوعه : سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ثم قال في سجوده مثل ذلك .

ويعلق النووى على الحديث قائلاً : « هذا حديث صحيح رواه أبو داود والنسائى فى سننهما ، والترمدى فى كتاب الشمائل بأسانيد صحيحة » [باب أذكار الركوع] .

راجع فى ذلك تحقيقنا لكتاب « الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار — ﷺ » للإمام الزاهد الورع « محبى الدين أبى زكريا محبى بن شرف النووى » والمتوفى (٦٧٦ هـ) والذى ذيلناه بمختصر لشرح العلامة : محمد بن على بن علان بن ابراهيم بن محمد بن علان البكرى الصديعى الشافعى المتوفى (١٠٥٧ هـ) وهو مكتبة القرآن بالقاهرة .

●● وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى أنه قد وقع خلط فى طبعة المكتبة القيمة لهذا الكتاب ، وذلك فى تخريج هذا الحديث والذى قبله — راجع ص (٢٦) هامش (٤١) و (٤٢) من الطبعة المشار إليها .

(١١٤) حديث أورده الغزالي فى إحياء علوم الدين (١٧٢/١) بلفظ فيه طول .

قال الحافظ العراقى فى تخريجه : رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلأ ، وأبو منصور=

ابن يوسف رحمه الله تعالى بحاتم الأصم، وهو يتكلم في مجلسه، فقال: يا حاتم تحسن تصلى قال: نعم: قال: كيف تصلى؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشى بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع، وأجلس للشهادة بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسى بالخوف، أخاف أن لا يقبل منى، وأحفظه بالجهد إلى الموت، قال: تكلم فأنت تحسن تصلى^(١١٥)

فصل: في أنواع العبادات التي يظهر فيها الخضوع

ومن أنواع العبادات التي يظهر فيها الذل والخضوع لله عز وجل الدعاء. قال الله تعالى: ﴿أدعوا ربكم تضرعاً وخفية^(١١٦)﴾ وقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين^(١١٧)﴾ فمما يظهر فيه من الذل رفع اليدين. وقد صح عن النبي ﷺ رفع يديه من الدعاء في مواطن كثيرة وأعظمها في الاستسقاء^(١١٨)

=الديلمي من حديث أبي بن كعب، ورواه النسائي مختصراً من حديث عبد الرحمن بن أبزي بإسناد صحيح.

(١١٥) راجع ماداري، عصام بن يوسف وحاتم الأصم في إحياء علوم الدين للغزالي (١٥١١) .
(١٦) الأعراف: ٥٥ — قال ابن كثير (٢٢١/٢) ناقلاً عن ابن جرير: (تضرعاً) تذلاً واسكاناً لطاعته، و (خفية) يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحديته وربوبيته فيما بينكم .
فيه لا جهازاً عياناً .
(١١١) الأنبياء: ٩٠ .

(١١٨) تتعرض البلاد الصحراوية أحياناً والبلاد التي تعتمد مزارعها على رى الأمطار لأن يشح ماؤها، أو يقل مطرها، أو تغور عيونها وآبارها، ويصيب أهلها بسبب عدم كفاية الماء لهم كرب عظيم، لما يلاقونه من الجذب والقحط، وما يقاسون هم ودهابهم من الظم، وما تستهدف له زراعتهم وماشيئهم من هلاك، ولا يجد الناس مخرجاً لهم من محتهم هذه إلا بالإنجاء إلى الله سبحانه وتعالى، يستغفرونه ويتوبون إليه، ويتضرعون إليه تعالى طالبين الغوث منه بالسقيا، قال تعالى في:

= كتابه العزيز مصداقاً لذلك : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غافراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ [نوح : ١٠ ، ١١] .

وكان الناس على عهد رسولنا الكريم إذا قحطوا استجدوا به . وطلبوا إليه أن يدعو ربه لينزل الغيث ، فقد روى أن رسول الله ﷺ صلى الجمعة فقام رجل فقال : يا رسول الله ! أجديت الأرض ، وهلكت المواشى ، فاستسقى لنا الغيث ، وفي بعض الروايات أنه أنشده شعراً منه :
أتيتك والعذراء يدمسى لبائها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وليس فرار الناس إلا إلى الرسل
فبكى النبي ﷺ حتى اخضلت لحيته الشريفة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم أسقنا غيثاً معيئاً ، عذياً طيباً نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير آجل ، فما رد رسول الله ﷺ يده الشريفة إلى صدره حتى أمطرت السماء ، وجاء أهل البلد بصيحون : الفرق ، الفرق ! يا رسول الله ، فضحك رسولنا الكريم حتى بدت نواجذه ، وقال : اللهم حوainا ، ولا علينا ، فاستجابت السماء بأمر الله تعالى

وصلاة الاستسقاء ركعتان كصلاة العيدين في الجهر والتكبير والقراءة ، ويسن أن يقرأ الإمام سورة نوح ، وأن يأمرهم قبل الخروج لهذه الصلاة بالتوبة والصدقة ، والكف عن المظالم ، ونبد العداوات ، وصيام ثلاثة أيام : ثم يخرج بهم في اليوم الرابع صيماً ، في خشوع وفي ثياب خلقة متذللين ، ومعهم الصبيان والشيوخ والعجائز والدواب ، ويعمدون الرضع عن أمهاتهم ، حتى يعلو صياحهم وبكاؤهم ، فيكون ذلك أدعى لرحمة الله تعالى .

فقد قال رسول الله الكريم (صلعم) : « لولا أطفال رضع ، ومشايخ ركع ، وبهائم رفع ، لصب عليكم العذاب صبا » .

وعند الشافعية يندب للإمام أن يتوجه إلى القبلة في نحو ثلث الخطبة الثانية ، ويجول رداءه بأن يجعل يمين الرداء يساره ، وأعله أسفله ، ويقلب الحاضرون أردبتهم كذلك إلا النساء ، ويكثر الدعاء والاستغفار ، ويدعو بدعاء رسول الله ﷺ : « اللهم سقياً رحمة ، لا سقياً عذاب ولا محق ولا بلاء ولا هدم ، اللهم على الظراب (التلال الصغيرة) والآكام ومنابت الشجر وبطون الأودية ، اللهم حوainا ولا علينا ، اللهم أسقنا غيثاً معيئاً ، مريئاً مريئاً ، غدقاً جمللاً (عمقها وطبقها) سحا طبقاً دائماً ، اللهم أسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانتين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والجوع والضعف ما لا نشكو إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء وأنبت من بركات الأرض ، واكشف عنا من البلاء ما لا يحسنه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً » .

هذا ، وقد أفرد الإمام النووي باباً كاملاً لأذكار الاستسقاء ، فيه فائدة جمة لمن أراد التعرف على هذه الصلاة وأحكامها والمأثور من أذكارها .

راجع كتاب الأذكار للنووي بتحقيقنا والذي سبق الإشارة إليه .

فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه^(١١٩) وكذلك كان يجتهد في الرفع عشية عرفة بعرفة ، وخرج الطبراني رحمه الله تعالى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « رأيت رسول الله ﷺ يدعو بعرفة ويداه إلى صدره كاستعطاء المسكين^(١٢٠) » وقد كان بعض الخائفين يجلس بالليل ساكناً مطرقاً برأسه ويمد يديه كحال السائل وهذا من أبلغ صفات الذل^(١٢١) وإظهار المسكنة والافتقار ، ومنه افتقار القلب في الدعاء وانكساره لله عز وجل ، واستشعاره شدة الفاقة إليه ، والحاجة لديه ، وعلى قدر الحرقة والفاقة^(١٢٢) تكون إجابة الدعاء ، وفي المسند والترمذى عن النبي ﷺ « إن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه^(١٢٣) » ومن ذلك إظهار الذل باللسان في نفس السؤال والدعاء

(١١٩) حديث متفق عليه ، أخرجه البخارى (١٨٢/١) في الاستسقاء (٧) ، وكذا أخرجه أشبو داوود (٣٠٣/١) في الاستسقاء (١١٧٠) ، وابن ماجه (٣٧٣/١) إقامة الصلاة (١١٨٠) ، والنسائي (١٥٨/٣) في الاستسقاء (١٥١٣) كلهم عن أنس بن مالك ، ولفظ البخارى : « كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء ، وإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه . »

(١٢٠) لم أقف على هذه الرواية ، ولكن قد أخرج الطبراني في معجمه الكبير (٣٣٢/٢) رقم (٢٣٨٦) : عن جرير قال : رأيت رسول الله ﷺ واقفاً بعرفة متباطراً رداءً رافعاً يده لا يجاوزان رأسه وعضلاته ترعدان .

(١٢١) الإسلام يدعو للتقوى والخشوع في كل العبادات ، ولكنه في نفس الوقت يرفض أن يجلس بالليل لا يتحرك ، رؤوسنا في الأرض ، نمد أيدينا كحالة السائل ، ثم نصف ذلك بأنه أبلغ صفات الذل ، وإظهار المسكنة والافتقار ، ومنه افتقار القلب في الدعاء وانكساره لله عز وجل ، واستشعاره شدة الفاقة إليه ، والحاجة لديه ، وعلى قدرة الحرقة والفاقة تكون إجابة الدعاء ... واعتقد أن كلام ابن رجب هذا فيه نظر والله أعلم .

(١٢٢) الفاقة هو الفقر والحاجة ، والمعنى المقصود الإحساس بها .

(١٢٣) حديث أخرجه الترمذى (٢٢/١٣) كتاب الدعوات بهذا اللفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه .

قال الترمذى : هذا حديث غريب .

قال المنذرى في الترغيب والترهيب (٢٧٧/٢) : رواه الترمذى والحاكم وقال : مستقيم الإسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة .

قال الحافظ : صالح المرى لا شك في زهده لكن تركه أبو داوود والنسائي .

والإلحاح فيه. قال الأوزاعي^(١٢٤) رحمه الله تعالى : كان يقال أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع إليه ، وفي الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ دعا يوم عرفة فقال : « اللهم إنك ترى مكاني، وتسمع كلامي، ولا يخفى عليك شيء، من أمرى، أنا البائس الفقير [المستغيث]^(١٢٥)، المستجير ، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهاً^(١٢٦) المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبتك ، وذلل لك جسده ، ورغم لك أنفه^(١٢٧) وفاضت عيناه . اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيماً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسئولين ، يا خير المعطين »^(١٢٨) ؛ وكان بعضهم يقول في دعائه بعزتك وذلي وبغناك وفقري . وقال طاووس رحمه الله تعالى : دخل على بن الحسين

= وأخرجه أيضاً الإمام أحمد (١٧٧/٢) عن عبد الله بن عمرو بلفظ : « إن الله لا يستجيب لعبده دعاه عن ظهر قلب غافل » .

قال المنذرى (٢٧٧/٢) : رواه أحمد باسناد حسن .

(١٢٤) الأوزاعي : هو فقيه بلاد الشام ، عرف عنه التقوى والورع ، والدفاع عن الإسلام ضد من يتاجرون به ، ووقف أمام الظلم والظالمين لا يخشى في الله لومة لائم .

(١٢٥) [المستغيث] ناقصة في طبعة المكتبة القيمة .

(١٢٦) الإبتهاً هو التضرع ، وقيل في قوله تعالى : ﴿ ثم نبتل ﴾ أى نخلص في الدعاء (راجع المختار الصحاح / ٦٧) .

(١٢٧) رغم لك أنفه : أى ذل وانقاد لأن يمس به التراب ، واصله الرغام بفتح الراء وهو التراب (راجع أساس البلاغة للزمخشري مادة رغم / بتصرف) .

(١٢٨) حديث أخرجه الطبراني [أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني بتحقيق الأستاذ/ حمدى عبد المجيد السلفى - الطبعة الثانية] (١٧٤/١١) حديث (٥ - ١١٤) عن ابن عباس قال : « كان فيما دعا به رسول الله ﷺ في حجة الوداع ... » الحديث مع اختلاف قليل في الألفاظ وتقديم وتأخير ، وأورده السيوطى في كتابه الجامع الصغير (١١٨/٢) بشرح المناوى حديث (١٤٨١) ، وعزاه إلى الطبراني عن ابن عباس ورمز له بالضعيف .

قال المناوى : قال ابن الجوزى : حديث لا يصح ، وقال الحافظ العراقى : سنده ضعيف ، وبينه تلميذه الهيمى فقال : فيه يحيى بن صالح الأبلجى ، وقال العقيل : له مناكير ، وبقيه رجاله رجال الصحيح .

رحمه الله تعالى ذات ليلة الحجرة فصلى فسمعته يقول في سجوده عبيدك بغنائك ، فقيرك بغنائك مسكينك بغنائك [سألك بغنائك]^(١٢٩) قال طاووس : « فحفظتهن فما دعوت بهن من كرب إلا فرج عني » خرجه ابن أبي الدنيا^(١٣٠) وروى ابن باكويه الصوفي رحمه الله تعالى بإسناده له « أن بعض العباد حج ثمانين حجة على قدميه فبينما هو في الطواف وهو يقول يا حبيبي ، وإذا بهاتف أليس ترضى أن تكون مسكيناً حتى تكون حبيباً ؟ قال : فغشى عليّ ، ثم بعد ذلك أقول : مسكينك وأنا تائب عن قول حبيبي . »

فصل في معنى « المساكين »

خرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : « اللهم أحييني مسكيناً ، وأمتي مسكيناً ، وأحشرفي في زمرة المساكين »^(١٣١) وخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله وزاد فقالت عائشة رضي الله عنها : لم يا رسول الله ؟ قال : « لأنهم يدخلون الجنة قبل

(١٢٩) [سائلك بغنائك] ناقصة في طبعة المكتبة القيمة .

(١٣٠) أخرجه ابن أبي الدنيا في « كتاب الفرج بعد الشدة » ، (ص ٣٦) [طبعة مكتبة الصحابة] عن طاووس : إلى لقي الحجر ذات ليلة إذ دخل على بن الحسين ، فقلت : رجل صالح من أهل بيت الخير لاستمعن إلى دعائه الليلة ، فصلى ثم سجد ، فأصغيت بسمي إليه فسمعته يقول في سجوده : وساقه .

وأورده البرد في « الفاضل » ، [الفاضل لأبي العباس البرد - تحقيق عبد العزيز الميني - ط . هيئة الكتاب ١٩٧٥ م] .

(١٣١) سبق لنا تمحيص هذا الحديث في نفس الكتاب - ونضيف هنا ، قال الاستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي محقق سنن ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) ط دار الفكر (مصورة) [١٣٨١/٢] : في الزوائد : أبو المبارك لا يعرف اسمه وهو مجهول ، وي زيد بن سنان ضعيف ، والحديث صححه الحاكم وعده ابن الجوزي في الموضوعات . قال العلاء : إنه يتنى بمجموع طرقه إلى درجة الصحة ، وقال الحافظ ابن حجر : قد حسنه الترمذي لأن له شاهداً .

أغنيائهم بأربعين خريقاً . يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمره يا عائشة أحبى المساكين وقربهم فإن الله يقربك يوم القيامة^(١٣٢) » وقال أبو ذر : أوصاني رسول الله ﷺ أن أحب المساكين وأن أدنو منهم ، خرجته الإمام أحمد وغيره^(١٣٣) . وفي حديث معاذ رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال في قصة المنام : « أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين » وذكر الحديث^(١٣٤) . والمراد بالمساكين في هذه الأحاديث ونحوها من كان قلبه مسكيناً خاضعاً لله ، خاشعاً له ، وظاهره كذلك . وأكثر ما يوجد ذلك مع الفقر من المال ، لأن المال يطغى وحديث أنس رضى الله عنه يشهد بهذا إلا أن إسناده ضعيف . وخرج النسائي من حديث أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الفقر فقر النفس ، والغنى غنى القلب »^(١٣٥) وفي الصحيحين عن النبي ﷺ إنه قال « إن الغنى غنى النفس »^(١٣٦) ولهذا قال الإمام أحمد وابن عيينة وابن وهب وجماعة

(١٣٢) أخرجه الترمذى (٢١٣/٩) كتاب الزهد من رواية أنس ، وقال : هذا حديث غريب . (١٣٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٩/٥) بلفظ أمرى خليل ﷺ بسبع : أمرى بحب المساكين والدنو منهم » وذكر الحديث بطوله عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه . (١٣٤) حديث أخرجه الترمذى (١١٦/١٢) في كتاب التفسير في تفسير سورة (ص) عن معاذ ابن جبل في حديث طويل وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الترمذى كذلك عن ابن عباس مرفوعاً (١١٢/١٢) . وأخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢١٨/١) كتاب القرآن حديث رقم (٤٠) في غير قصة المنام .

(١٣٥) هذا الحديث لم أعتز عليه في سنن النسائي ، ولكن أوردته الهيثمى في كتابه « موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان » (ص ٦٢٤) عن أبى ذر الغفارى قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر . أترى كثرة المال هى الغنى ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله ، قال : فترى [قلة] المال هو الفقر ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله . قال : إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب » .

كما أوردته المنذرى لهذا اللفظ عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه في الترغيب والترهيب (١١/٢) . وعزاه إلى ابن حبان في صحيحه .

(١٣٦) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى (١٢١/٤) كتاب الرقاق ، ومسلم (٧٢٦/٢)

كتاب الزكاة (١٢٠) ، وكذا أخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٨٦/٢) كتاب الزهد =

من الأئمة : إن الفقر الذى استعاذ منه النبي ﷺ فقر النفس فمن استكان قلبه لله عز وجل وخشع له فهو مسكين ، وإن كان غنياً من المال ، لأن استكانة القلب لا تنفك عن استكانة الجوارح ، ومن خشع ظاهره واستكان قلبه ليس بخاشع ولا مستكين فهو جبار . وفي الحديث الذى خرجته النسائي وغيره أن النبي ﷺ مر في طريق وفيه امرأة سوداء فقال لها رجل هاء الطريق فقالت : إن شاء [أخذ] بمنه ، وإن شاء أخذ يسره ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوها فإنها جبارة فقالوا يا رسول الله إنها تعنى إنها مسكينة فقال ذاك في قلبها » (١٣٧) وقال الحسن رحمه الله تعالى : إن أقواماً جعلوا التواضع في لباسهم والكبر في قلوبهم ولبسوا مدارع الصوف (١٣٨) ، والله لأحدهم أشد كبراً بمدرعته من صاحب السريزر بسريره ، وصاحب المطرف (١٣٩) بمطرقه (١٤٠) . وقد صح عن النبي ﷺ أنه أنكر أن لبس الثوب الحسن والنعل الحسن كبر ، وقال : « الكبر (بطر الحق وغمط

= (٤١٣٧) ، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٢٤٣/٢) كلهم عن أبي هريرة رضى الله عنه بلفظ : « ليس الفنى عن كثرة العرض ، ولكن الفنى غنى النفس » .

(١٣٧) الحديث أورده علاء الدين بن حسام الدين الهندي في كتابه : « كنز العمال » (٤٠٠/١٦) حديث رقم (٤٥١٠٢) وعزاه لابن عدى عن أنس بن مالك ، وللشوازي في كتابه الألقاب عن أبي هريرة .

(١٣٨) المدارع : جمع مدرعة ، وهو نوع من الثياب لا تكون إلا من الصوف خاصة (راجع الصحاح للجوهري مادة درع) .

(١٣٩) المطرف : بضم الميم وكسرهما وهى أردية من خز مربعة لها أعلام .

قال الفراء : المطرف من الثياب ما جعل في طرفيه علمان . (راجع تاج العروس للزبيدي مادة طرف) .

(١٤٠) أورده ابن الجوزى في كتابه « تليس إبليس » [مطبعة الجزيرة بالقاهرة نسخة مصورة] (ص ١٩٥) عن أبي شداد المجاشعي قال : « سمعت الحسد — وذكر عنده الدين يلبسون الصوف — فقال : ما هم تعاقدوا ثلاثاً ، أكنوا الكبر في قلوبهم ، وأظهروا التواضع في لباسهم ، والله لأحدهم أشد عجباً بكسانته من صاحب المطرف بمطرقه » .

الناس»^(١٤١) وهذا تصريح بأن حسن اللباس ليس بكبير ، والكبير»^(١٤٢) إنما هو في القلب ، وهو عدم الانقياد للحق تكبراً عليه وغمط الناس هو احتقارهم وإزدرائهم ، فمن كان في نفسه عظيماً بحيث يحقر الناس لاستعظام نفسه ، ويأنف من الانقياد للحق تكبراً عليه فهو المتكبر ، وإن كان ثوبه ليس بحسن ، ونعله ليس بحسن . ومن ترك اللباس الحسن تواضعاً لله وخشية أن يقع في نفسه شيء من الكبر فقد أحسن فيما عمل ، فقد كان ابن عمر رضى الله عنه يفعل ذلك ، وقول النبي ﷺ في (الانجانية) التي لبسها « أنها أهنتى أنفاً عن صلاتي »^(١٤٣) يدل على ذلك .

فصل : في فضل مقام العبودية*

ومما اختاره النبي ﷺ مقام العبودية على مقام الملك وقام بين يديه ﷺ

(١٤١) حديث أخرجه مسلم (٩٣/١) كتاب الإيمان (١٤٧) ، والترمذى (١٦٤/٨) كتاب البر والصلة كلاهما عن عبد الله بن مسعود .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(١٤٢) [.. بطر الحق وغمط الناس ، وهذا تصريح بأن حسن اللباس ليس بكبير ، والكبير ..] ما بين القوسين المعقوفين ناقص من طبعة المكتبة القيمة ، وفي رأينا أن الكلام لا يقيم بدونه .

(١٤٣) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى (٧٨/١) كتاب الصلاة ، ومسلم (٣٩١/١) كتاب المساجد (٦٢) ، وكذا أخرجه أبو داود (٤٩/٤) كتاب اللباس (٤٠٥٢) ، وأبو عوانه في مسنده (٦٥/٢) .

وكلهم رووه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « أن النبي ﷺ في خصية لها أعلام فظفر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال : اذهبوا بخصيتى هذه إلى أبى جهم وإتوني بأنجانية أبى جهم فإنها أهنتى أنفاً عن صلاتي » . وهذا لفظ البخارى .

والحديث يوضح أن الذى أهى النبي ﷺ ليست هى الانجانية كما يفهم من كلام ابن رجب الخليل ، إنما هى الخصية التى كان يلبسها رسولنا ﷺ .
- والخصية هى كساء أسود ذو أعلام .

والإنجانية كساء غليظ لا علم له . وهذا لا يلهى فى الصلاة - والله أعلم .

(*) هذا الفصل وجدته فى النسخة المطبوعة بينا لم أجده فى المخطوطة .

رجل يوم الفتح فارتعد. فقال له « هون عليك إني لست بملك وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد^(١٤٤) » وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله^(١٤٥) » قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة قال : لأعلمه إلا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « جلس جبريل السلام إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك مهول فقال جبريل عليه السلام : إن هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربك أفملكاً نبياً يجعلك أم عبداً رسولاً ؟ ومن مراسيل يحيى بن أبى كثير رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ قال « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد فإنما أنا عبد » أخرجه ابن سعد في طبقاته^(١٤٦)

(١٤٤) أخرجه ابن ماجه (١١٠٠/٢) كتاب الأطعمة (٣٣١٢) عن أبى مسعود دون يوم الفتح .

قال محقق سنن ابن ماجه : من الزوائد : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات .

والقديد نوع من اللحم هو : ما قطع طولاً وملح وجفف في الهواء والشمس .

(١٤٥) حديث أخرجه البخارى (٢٥٦/٢) كتاب الأتياء والدارمى في سننه (٣٢٠/٢) كتاب الرقائق واللفظ للبخارى . وفيه « فإنما أنا عبده » وليست في الدارمى . ومعنى الإطراء كما يقول ابن منظور : هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه (لسان العرب / ٢٦٦٩) .

وذلك لأنهم أخرجوا عيسى بن مريم عليه السلام من مقام العبودية والرسالة عن الله إلى مقام الألوهية فهو عليه السلام عندهم إما الله نفسه وإما ابن الله وإما أحد ثلاثة أقانيم ، ولذلك حرص رسول الله ﷺ على تأكيد بشريته وأنه ما هو إلا بشر رسول أرسله الله هداية العباد ، وقد جاء الذكر الحكيم بآيات كثيرة تؤكد على عبودية رسول الله ﷺ منها : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً » [الإسراء / ١] .

و « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » [الكهف / ١] وللمزيد مما فعله أنبا عيسى عليه السلام من إخراجه من مقام العبودية والرسالة عن الله راجع ما كتبه الإمام (أبى الفداء إسماعيل بن كثير المولود ٧٠١ هـ والمتوفى ٧٧٤ هـ) في كتابه المشهور (قصص الأتياء) عن قصة عيسى بن مريم ، وميلاده ، وبيان أن الله تعالى منزّه عن الولد ، ومنشأ عيسى بن مريم عليهما السلام .

(١٤٦) حديث أخرجه ابن سعد في طبقاته الكبرى (٣٨١/١) دون قوله « فإنما أنا عبد » عن عائشة رضى الله عنها .

وخرجه أيضاً من رواية أبي معشر عن المقبرى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال : « أتاني ملك فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : إن شئت نبياً ملكاً ، وإن شئت عبداً ورسولاً فأشار إليّ جبريل عليه السلام تواضع فقلت نبياً عبداً قالت : فكان النبي ﷺ بعد لا يأكل متكئاً ويقول : « آكل كما يأكل ، وأجلس كما يجلس العبد »^(١٤٧) ومن مراسيل الزهري رحمه الله تعالى قال بلغنا أنه أتى النبي ﷺ ملك لم يأتها قبلها - ومعه جبريل عليه السلام ، فقال : الملك - وجبريل عليه السلام صامت - إن ربك يخبرك أن تكون ملكاً أو نبياً عبداً فنظر النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير ، فأشار إليه أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ « نبياً عبداً » قال الزهري : فزعموا أن النبي ﷺ لم يأكل متكئاً منذ قالها حتى فارق الدنيا . وفي المسند أو في كتاب الترمذي عن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « عرض على ربك عز وجل أن يجعل لي بطحاء^(١٤٨) مكة ذهباً ، فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ، وقال ثلاثاً نحو

— وقد أورده العجلوني في كتابه كشف الخفاء (مكتبة التراث الإسلامي ببلب السوريه) (١٧/١) دون قوله : « فإنما أنا عبده » .

وقال : رواه ابن سعد بسند حسن وأبو يعلى عن عائشة ، وفي رواية البيهقي عن يحيى بن أبي كثير مرسلًا بزيادة « فإنما أنا عبد » ورواه (هناد) في الزهد كما في ذيل الجامع عن عمرو بن مرة مرسلًا بلفظ : « آكل كما يأكل العبد ، فوالذي نفسى بيده لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا كأساً » .

(١٤٧) حديث أخرجه محمد بن سعد في كتابه « الطبقات الكبرى » (٣٨٠/١) — طبقة دار صادر البيروتية ١٩٦٠ م عن عائشة بنفس السند المذكور بلفظ : يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب ، أتاني ملك ، وإن حجرته لتساوى الكعبة ، فقال : وساق الحديث
كما أورده العجلوني في كشف الخفاء (١٧/١) مقتصرًا على : « آكل ما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » وقال : رواه ابن سعد بسند حسن ، وأبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها وأرضاه .
(١٤٨) : البطحاء : مكان متسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار والجمع أباطح .

هذا ، فإذا جعت تضرعت إليك وإذا شبعت شكرتك» (١٤٩)

(١٤٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٤/٥) ، والترمذى (٢٠٩/٩) كتاب الزهد ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٨١/١) كلهم عن ابن أمانة ، وعند أحمد والترمذى : « وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » قال الترمذى : هذا حديث حسن .

يقول لبيد بن أبي ربيعة :

فأعجباً كيف يعصى الإله
وفي كل شيء له آية
والله في كل تحريكه
ويقول الإمام على كرم الله وجهه :

وكم لله من لطف خفى
وكم يسر أتى من بعد عمر
وكم أمر تساء به صاحباً
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً
توسل بالنبي فكل خطب
ويقول عمارة اليمنى :

يارب هيء لنا من أمرنا رشداً
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا
أنت الكريم وقد جهزت من أملئ
وللرجاء ثواب أنت تعلمه
ويقول أبو نواس :

وليس على الله بمتكبر
يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة
إن كان لا يرجوك إلا محسن
ويقول الشريف الرضى :

لا تخشى من غائلة فوضت
ونم إذا شئت فإن البلى
كم ذا ورق الله بأنظافه
وكم أزال الله من ظالم
ويقول ابن حمديس الصقلي :

أيارب عفواً عن ظلموم نفسه
سألتك يا مولى الموالى ضراعة
لتصلح لى قلباً وتففر ذلة
ولا عجب فيما تمت إنسى
رجاك وإن كان الغفاف به أولى
وقد يضرع العبد الذليل إلى المولى
وتقبل لى توبتي وتسمع لى فعلا
طويل الأمانى عند من يحسن الطولا

وقال العارفون

دعواه ، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته وقام بمراده وقام بمراد سيده (الله) يكون اسمه ماسمى به ، ونعته ما حلى به ، وإذا دعا باسمه أجاب عن العبودية ، فلا اسم ولا رسم ولا يجيب إلا لمن يدعوه بعبودية سيده وأنشد يقول :

يا عمرو ثارى عند دهري .: يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى إلا بيا عبدى .: فإنه أصدق أسمائى
وأنشد الآخر

مالى وللفقر إلى عاجز .: مثلى لا يملك إغنائى
وإنما يحسن فقري إلى .: مالك إسعادى وإشقائى
أتيته عجباً بانتهاء إلى .: أبوابه إذ قلت مولائى
لا تدعنى إلا بيا عبدى .: فإنه أشرف أسمائى

روى الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى فى كتاب [أسماء الصحابة] من طريق الشيخ أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى حدثنى علقمة [بن سويد]^(١٥٠) بن الحارث الأزدي عن أبيه عن جده يذكر وينقل عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : « جمعت لك حكمتى فى ست كلمات :
أعمل للدينا بمقدار بقائك فيها ، وأعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها ،
وأعمل لله بمقدار حاجتك إليه ، وأعمل من المعصية بمقدار ما تطيق من العقوبة ، ولا تسأل إلا من لا يحتاج إلى أحد ، وإذا أردت أن تعصى الله فاعصه فى مكان لا يراك فيه^(١٥١) .

(١٥٠) [سويد بن] ما بين المقوفين فى طبعة المكتبة القيمة ناقص .
(١٥١) كلمات عظيمة المعنى ، رائعة المدلول ، ما أعظم هذه الكلمات لو تفكر فيها الإنسان وتدبر

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : دواء القلوب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء الباطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين^(١٥٢) . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى في مواعظته حين سألوه عن قوله تعالى : ﴿ ادعوى استجب لكم ﴾^(١٥٣) وإنا ندعوه فلم يستجب لنا . !! فقال لهم : عرفتم الله فلم تطيعوه ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به ، وعرفتم

في معانيها ، ومراميا ، ولن يلقى لها بالا إنسان غافل ملكت الدنيا الفانية حواسه ، وعطلتها عن الفهم الواعي السليم ، والتدبر في دينه وآخرفته . لن يتضع بها إنسان أشرب قلبه حب الدنيا وربيتها الخادعة ، وما أحوج مجتمعنا وأمتنا الإسلامية في ظروفنا الحرجة الحالية إلى آباء مثل لقمان الحكيم يربون أبناءهم على الحكمة والخوف من الله وحده ، والطاعة المطلقة له العمل القدير .

(١٥٢) أورده الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » [طبعة دار الفكر للطباعة والنشر] . (٣٢٧/١٠) من قول إبراهيم الخواص وفيه ، خلاء البطن وهو الجوع يورث صفاء القلب ، وإيقاد الفريجة وإنفاذ البصيرة ورقة القلب وصفائه الذي به تهباً لإدراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر .

وفي بعض النسخ « خلاء الباطن » بدلاً من « خلاء البطن » وكلاهما صحيح فخلاء البطن هو الجوع .

وخلاء الباطن يكون أيضاً من الحقد والحسد والحرص على الدنيا الفانية . وذلك يجعل القلب حياً متيقظاً لتقبل العلم والإنفعال به .

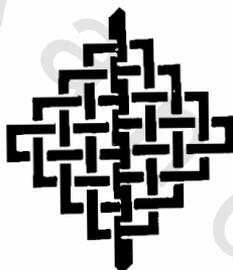
وفي الحسد أقوال كثيرة نذكر منها ما قاله علي بن عرقلة الكلبي :

أبعده عن رؤياك لا يستجلب
بضحك فزاده بين الضلوع
إذا كان البكاء بلا دموع
وأكذب ما يكون الحزن يوماً
ويقول ابن المعتز :

فإن صبرك قاتله
إن لم تجد ما تأكله
أصبر على كيد الحسود
فالنار تأكل بعضها
ويقول أبو الأسود الدؤلي :

فالقوم أعداء له وخصوم
حمداً وبغضاً إنه لدميم
حساده سيف عليه ضرور
شم الرجال وعرضه مشتموم
حسدوا الفتى إذا لم ينالوا معيه
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
وكذاك من عظمت عليه نعمة
وترى اللبيب محمداً لم يجرم
(١٥٣) غافر : ٦٠ .

الشیطان فوافقتموه ، وادعیتم حب رسول الله ﷺ وترکتتم سنته ، وادعیتم حب الجنة ولم تعملوا لها ، وادعیتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب ، وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له ، واشتغلتم بعیوب غیرکم ولم تنظروا إلى عیوبکم ، وتأکلون رزق الله ولا تشکرون ، وتدفنون أمواتکم ولا تعتبرون^(١٥٤) . فنسأل الله تعالى أن یوفقنا لما یرضیه عنا برحمته [ویختم]^(١٥٥) لنا بخیر آمین ... إنه أرحم الراحمین رب العالمین ، وصلى الله تعالى على خاتم النبیین سیدنا محمد وآله وصحبه أجمعین وحسبى الله علیه وتوکلت ونعم الوکیل^(*) .



(١٥٤) ذکر الإمام الغزالی هذا الخبر فی كتابه إحياء علوم الدين (٣٨/٣) عن إبراهيم بن الأدهم وفيه أنها ثمان خصال .

وإبراهيم بن أدهم صوفي جليل ، نشأ في مدينة بلخ ، في بيت عز وثناء ، ولكنه انصرف إلى الزهد والتصوف بعد فترة دراسة وتأمل في بغداد ، ووهب ثروة أبيه لغيره ، كما اشترك في حملات الجهاد الإسلامي ضد الروم وتوفي في إحداها حوالي عام ١٦٦ هـ (٨٧٣ م) .
(١٥٥) [ويختم] ناقصة في طبعة المكتبة القيمة .

(*) : إلى هنا ينتهي تحقيقنا لكتاب الخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلي والحمد لله أولاً وأخيراً

فهرس الكتاب

الصفحة

الموضوع

- ٥ حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ●
- ٦ واقعنا من المسئول عنه ؟ ! ●
- ٧ كتاب يخدم الهدف ●
- ٨ الحل !! ... ●
- ٨ مسلمون والله أعلم ●
- ٩ كلمة حق ●
- ١١ حتى تفرعهم القوارع ●
- ١٣ سيرة ابن رجب الحنبلي ●
- ١٣ المولد ●
- ١٤ النشأة وطلب العلم ●
- ١٥ أهم مؤلفات ابن رجب ●
- ١٧ منهجنا في تحقيق الكتاب ... ●
- ١٩ نص كتاب الخشوع في الصلاة ●
- ٢٣ خطبة ابن رجب ●
- ٢٧ طوبى لمنكسرين ●
- ٢٨ أصل الخشوع ... ●
- ٢٩ خشوع القلب ●
- ٣١ وصول الخشوع إلى الأعضاء ... ●
- ٣٢ بين بغيك يا الله ؟ ! ... ●

- الصبر والرضا .. ٣٧
- الخشوع والعلم النافع ... ٣٨
- وتصدع الجبل من خشية الله ... ٤٢
- الخشوع والخاصعون ... ٤٨
- هذه كفارة الذنوب ... ٥١
- طهارة و خشوع القلب ٥٢
- إحذر أن يختلسك الشيطان ... ٥٥
- السجود خشوع ... ٦٣
- في أنواع العبادات التي يظهر فيها الخشوع ... ٦٥
- في معنى « المساكين » ... ٦٩
- في فضل مقام العبودية ... ٧٢
- وقال العارفون ٧٦
- فهرست الكتاب ... ٧٩

رقم الايداع - ٧٥٤٢ - ٨٩